

٢١٩
ش.ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف عياض بن موسى - ٥٤٤هـ. بخط صالح بن ابى بكر السمرقندى سنة ١٢٨٠هـ.

١٧٠ق ٢١س ٢٣×١٤٫٥سم

٢٧٥

نسخة جيدة، رؤوس الفقر بالحمرة، خطها نسخ حسن واستكملت بخط تعليق، طبع

الأعلام ٥: ٢٨٢ الظاهرية (التاريخ ٢): ٣١٩

١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رحمه الله الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك
الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى
الظاهر لا تخيلاً ولا وهماً الباطن تقدساً لا عدماً وسع
كل شيء رحمة وعلماً واسبغ على اوليائه نعماً عماً وبعث فيهم
رسولاً من انفسهم انفسهم عرباً وعجماً وازكاهم محتداً
ومنمى وارجحهم عقلاً وحلماً واوفرهم علماً وفهماً واقواهم
يقيناً وعزماً واشدهم بهم رأفة ورحماً زكاه روحاً
وجسماً وحاشاه عيباً ووصماً وآتاه حكمة وحكماً وفتح به
اعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وآذاناً صماً فآمن به وعزره ونصره
من جعل الله له في مغنم السعادة قسماً وكذب به وصدف
عن آياته من كتب الله عليه الشقا حتماً ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة تنمو وتنمى
وعلى آله وسلم تسليماً اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار

اليقين



اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين
شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته
بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا
همهم به واحداً ولم يروا في الدارين غيره مشاهداً فهم
بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب
عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون
لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت السؤال علي في مجموع يتضمن التعريف بقدر
المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا
وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم
اكرمك الله انك حملتني من ذلك امراً امراً وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسراً وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعباً ملأ قلبي رعباً
فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع عليه او يجوز
عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة
وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار
فيها القطا وتقصر عنها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام

ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما رجوته لي ولك
من نوال وثواب في هذا السؤال والجواب بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولما اخذ الله
على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما اخبرنا به
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا
الحسين بن محمد قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن قال حدثنا ابو بكر محمد بن بكر قال حدثنا سليمان بن الاشعث
قال حدثنا موسى بن اسمعيل قال حدثنا حماد قال اخبرنا علي بن الحكم
عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤدياً من ذلك
الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل
البدن والبال بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها
فكادت عن كل فرض ونفل وردته بعد حسن التقويم الى اسفل سفل
ولو اراد الله بالانسان خيراً لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً او يذم
محله فليس ثمه سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه
بخويصة نفسه واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده ويستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر

عظيم

عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا
فيما ينجينا ويقربنا اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله
وخلصت تفصيله وانتخبت حصره وتحصيله ترجمته
بالشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت
الكلام فيه في اربعة اقسام القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى
لهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولاً وفعلاً وتوجه الكلام
فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهار
عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميل الله له
المحاسن خلقاً وخلقا وقرانه له جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثني عشر
فصلاً الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلاً القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام وترتب
القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث
في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز
عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان تضاف اليه وهذا
القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه
من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض
هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته
يشرق به صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين
وتملأ جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول
فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه
ستة عشر فصلا الباب الثاني في احوال الدنيوية وما يجوز طروه
عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع
في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه الصلوة
والسلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو
في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشر فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين
قبله في حكم من سب الله ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي عليه
الصلوة والسلام وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول
وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة

الايمان

الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس
وتوضح كل تخمين وحدس ويشفي صدور قوم مؤمنين
ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين وبالله سبحانه لا اله سواه
استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر النبي المصطفى
عليه الصلوة والسلام قولا وفعلا قال القاضي الامام ابو الفضل
رحمه الله لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة
من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام وتنويهه
من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به
في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه
وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل
جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك
واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل عودا وبدءا
وله الحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم
وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين
من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره
علينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة

منى عليه حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى قال حدثنا
ابو على السنجى قال حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى
بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور قال حدثنا
عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضى الله عنه
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به ملجماً
مسرجاً فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقاً الباب الاول
فى ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان
فى كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه
قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك
فى عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجئ المدح
والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الآية قال السمرقندى وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء
وقرأ الجمهور بالضم قال القاضى الامام ابو الفضل رحمه الله تعالى
اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم
رسولاً من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه
وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ولادة

ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس رضى الله عنهما وغيره معنى
قوله تعالى الا المودة فى القربى الآية وكونه من اشرفهم وارفعهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد
باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم فى دنياهم
واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم وقال
بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله فى الآية
الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً
من انفسهم الآية وفى الآية الاخرى هو الذى بعث فى الاميين
رسولاً منهم الآية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم الآية
وروى عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى من انفسكم قال نسباً
وصهراً وحسباً ليس فى آبائى من لدن آدم عليه السلام سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبى كتبت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه
الجاهلية وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى اخرجتك نبياً وقال جعفر
بن محمد علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكى يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه
رسولاً مخلوقاً من جنسهم فى الصورة والبسه من نعته الرأفة والرحمة
واخرجه الى الخلق سفيراً صادقاً وجعل طاعته طاعته وموافقته
موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك

الا رحمة للعالمين وقال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمداً صلى الله
تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته
رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل
مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وكما قال
عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها
فجعله لها فرطاً وسلفاً قال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن
والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافقين
بالامان من القتل ورحمة للكافرين بتأخير العذاب وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء
قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد
الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك
انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الآية قال كعب الاحبار
وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقوله تعالى مثل نوره اي مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله التستري المعنى الله هادي اهل السموات

والارض

والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان
مستودعاً في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي يكاد
نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الآية غير هذا وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير
هذا الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً
الى الله باذنه وسراجاً منيراً ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى آخر السورة شرح اي وسع والمراد بالصدر هنا
القلب وقال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكمة وعلماً وقيل معناه
الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل
اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك
لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح
قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع
عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها ولما كانت عليه
بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعة ذكره وقران اسمه اسمه قال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك
يقول تدري كيف رفعت ذكرك فقلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان
بذكري معك وقال ايضاً جعلتك ذكراً من ذكري فمن ذكرك
ذكرني وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه مع اسمه
فقال واطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشترك ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ
فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه فقال حدثنا ابو عمر النمري
قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر بن داسة

قال

قال حدثنا ابو داود السجزي قال حدثنا ابو الوليد الطيالسي
قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم ما شاء الله وما شاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب في تقديم
مشية الله على مشية من سواه واختارها بثم التي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيباً
خطب عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان
كره الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب
غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان
اصح لما روي في الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية هل يصلون
راجعة على الله عز وجل وعلى ملائكته ام لا فاجازه بعضهم
ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة
وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي
عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل
طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين وروى

انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم يريد
ان نتخذه حناناً كما اتخذت النصارى عيسى عليه الصلوة والسلام
فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
رغماً لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال
ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه رضي الله عنهم
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق
والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال في قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال نعمة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون اكثر المفسرين على ان الذي جاء
بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به
المؤمنون وقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي رضي الله عنه وقيل

غير

غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء
والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروباً من رتب الاثرة
وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهداً على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه عليه الصلوة والسلام ومبشراً لاهل
طاعته ونذيراً لاهل معصيته وداعياً الى توحيده وعبادته
وسراجاً منيراً يهتدى به الى الحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي
قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا
فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن
عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض
صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً وحرزاً للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعيناً عمياً واذاناً صماً
وقلوباً غلفاً وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار

وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
والف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجرته بالمدينة او قال
طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال الله تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي الآيتين وقال الله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكرهم منته انه جعله رسولا
رحيما للمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لانفضوا من حولك ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا الآية قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله تعالى

وفي

في الآية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الآية وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية
وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم السلام على اممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سأل
الانبياء عليهم السلام هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا
من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد عليه الصلوة والسلام ويزكيهم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل معنى الآية انكم حجة على كل من خالفكم
والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم الآية قال قتادة والحسن
وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
شفيع صدق عند ربهم وقال سهل هي سابقة رحمة اودعها الله
تعالى في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب هو محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد
من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم الآية قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام
بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو

قبل ان يخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله تعالى عليه
بقوله لم اذنت لهم ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا
من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب وان من اكرامه تعالى
اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب
بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيراً فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى
انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب وقال
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلاً وقال
بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء عليهم السلام بعد الزلات
وعاتب نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ليكون
بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية

ثم

ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف
ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته
ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الآية قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله
تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية
وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية ففي هذه الآية
منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام
والطافه له في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً وكانوا يسمونه
قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة
الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء
ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً
وعلواً ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن كان قبله ووعده النصر بقوله
تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذباً وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك
كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد

فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذلك ومما ذكر
من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرفه الله به ان الله تعالى خاطب
جميع الانبياء فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا بيا ايها النبي يا ايها الرسول
يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه عز وجل
بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله
جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله ضم
العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله
وما ذرأ وما برأ نفساً اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وما سمعت الله عز وجل اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو الجوزاء ما اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم
الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي
انه روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لي عند ربي
عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمداً
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو قسم وهو من اسماء الله تعالى

وقال الزجاج

وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وقال
ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب الاحبار يس قسم اقسم الله به
قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه
صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء
فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده
وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة
في كتابه الا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام
انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد الآية قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه
حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت يا محمد حلال او حل لك
ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال
الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حياً
وببركتك ميتاً يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير
قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى بمقامه فيها
وكونه بها فان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم امان حيث

كان ثم قال و والد وما ولد من قال اراد آدم عليه السلام وذريته
فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام وما ولد فهي اشارة ان شاء الله
تعالى الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضمن السورة القسم به
في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله
عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير
ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام
جبريل عليه السلام والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسب الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل
عليه السلام على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب
فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه اسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهده ولم يؤثر
ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل
جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير
قوله تعالى والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
النجم قلب محمد عليه الصلوة والسلام هوى انشرح من الانوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان
الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له ليتحقق مكانته عنده
قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون

في سبب

في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام
وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله
تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له
عما اخبره به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب
الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده
وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي مالك
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال
سهل ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج
في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي
عن بعض آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن
ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل
احد من امته النار الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره
من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه الله او بما جعله

فى قلبه من القناعة والغنى ويتيماً تحدب عليه عمه وآواه اليه
وقد قيل اواه الى الله وقيل يتيماً لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالاً واغنى بك عائلا فاوابك يتيماً ذكره
بهذه المنن وانه من المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولاودعه ولا قلاه فكيف بعد
اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه
وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك
فحدث فان من شكر النعمة التحديث بها وهذا خاص له عام لامته
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم
باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن
جعفر بن محمد انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هو قلب محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضاً محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الآيات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه
على هداية المصطفى عليه السلام وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلى وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه
السلام وهو الشديد القوى ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته
بقصة الاسرى وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه سبحانه وتعالى

على مثل هذا فى اول سورة الاسرى ولما كان ما كاشفه صلى الله تعالى
عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لا تحيط به العبادات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول
رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى
الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام
عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات
الكبرى قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اشتملت هذه الآيات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام وعصمتها
من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه
بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم
اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله
ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة عند ربه
رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى قال على
بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فجميع الاوصاف على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه الصلوة والسلام
فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعنى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فى صورته

وما هو على الغيب بظنين اى بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو
بنجيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم باتفاق وقال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون
الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسناً خطابه ما انت
بنعمة ربك بمجنون فهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات
الآداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب
غير منقطع لا يأخذه العد ولا يمن به عليه فقال وان لك لاجراً
غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميماً للتمجيد بحرفى التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله وقال
الواسطى اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم
المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله
وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه تعالى
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقوبا تهم وتوعدهم بقوله
فستبصر ويبصرون الآيات الثلاث ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه
وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصراً
لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم

فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك
بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه
على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى
على عدوه ابلغ من رده لنفسه واثبت د يوان مجده الفصل
السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته صلى الله تعالى عليه وسلم
مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم
وقيل هو اسم الله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل
حروف مقطعة لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل
هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله
تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت هذه الآية فيما كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب
وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير
واحد عن القاضى ابو الوليد الباجى اجازة ومن اصله نقلت
حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموى قال حدثنا
ابراهيم بن خزيم الشاشى قال حدثنا عبد الله بن حميد قال حدثنا
هاشم بن القاسم عن ابى جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولا خفاء بما فى هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة

وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل او جعلت
قسماً لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله
تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفاً اى قاتل نفسك لذلك غضباً او غيظاً او جزعاً ومثله قوله تعالى
ايضاً لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا
الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال مكي سلاه الله تعالى
بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه انه من تمادى
على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله
بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم
وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي
ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما اخبره الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق

النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال
ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال
المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً الا ذكر له محمداً ونعته
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبياً من آدم عليه السلام
فمن بعده الا اخذ الميثاق عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد
بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله
من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم الآية وقال الله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الى قوله شهيداً وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بابي
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر
الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابراهيم الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين
اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء

فى الخلق وآخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح
وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم عليه السلام كالذر وقال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد
بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة
الا وقد اعطى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها قال بعضهم
ومن فضله ان الله عز وجل خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول
وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان من شيعة
محمد لابراهيم عليهما السلام اى على دينه ومنهاجه واختاره الفراء
وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن

فى اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت
بمكة فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقى
فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية وقوله تعالى
ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم

الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله تعالى
عليه وسلم ودرئه العذاب من اهل مكة بسبب كونه فيهم
ثم كون اصحابه بعده بين ظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم
فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفى الآية
ايضا تأويل آخر حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى
عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا
حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة قال حدثنا ابو على السنجى قال
حدثنا محمد بن محبوب المروزى قال حدثنا ابو عيسى الحافظ
قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن نمير عن اسمعيل
بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة
بن ابى موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انزل الله على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابى
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا مضيت سنته فانتظر والبلاء
والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية
ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلوته عليه

ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه
الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا
اي في صلوة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة
والصلوة من الملائكة استغفاراً ومنا دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر
حكم الصلوة عليه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين وذكر
بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كافي
اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال الله تعالى ويهديك
صراطاً مستقيماً والياء تأييده له قال الله تعالى وايدك بنصره
والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
اي وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة
وقيل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه وقيل
المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبيناً الى قوله يد الله
فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه
وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف

عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء
البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة
سبباً للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلاً
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك
وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره
وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره
النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم
والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا
والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً الآية فعد محاسنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهداً لهم
بالتوحيد ومبشراً لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذراً عدوه
بالعذاب وقيل محذراً من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له
من الله الحسنى وتعزروه اي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل
تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظمونه وقرأ بعضهم وتعززوه
بزائين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى

عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله قال ابن عطاء جمع
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح
المبين وهو من علام الاجابة والمغفرة وهي من علام المحبة
وتمام النعمة وهي من علام الاختصاص والهداية وهي من علام
الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة
الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع
غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه
برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق
ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد هم
بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون
من هذا القبيل قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز
وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الاخرى

انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ باللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله
رمى قلوبهم بالجزع اي منفعته الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل
والرامي بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر** فيما اظهره الله تعالى
في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به
من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة
الاسراء في سورة سبحان وسورة والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك
عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك
الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين الى آخره وما دفع الله به عنه في هذه القصة
من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ
على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار
وما ظهر في ذلك الغار لهم من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة
سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب الله عنه
عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك
ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه

وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن
وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل
السبع المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار
وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل
سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى
القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الآية
وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية قال
القاضي فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلوة والسلام بعثت
الى الاحمر والاسود وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم
اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده
وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم
اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ

وهو

وهو اب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم الباب الثاني
في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله تعالى
عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة
وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب
الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه
ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
الآخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة
واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل
والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة

والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة
وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن
الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ماهو فى الغريزة واصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنها لا بد
ان يكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله
تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله
والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها
فصل قال القاضى اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له
فى كل عصر او آوان اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم
او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال
ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال ورمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت
فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه
مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة
والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو
والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء

والشهادة

والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد
والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين
واعطاء الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر
ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثانى وقرآن العظيم وتزكية الامة
والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة
والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر
والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم وتكليم البهايم واحياء الموتى
واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل
وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان
والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس
الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له فى الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم
فصل ان قلت اكرمك الله تعالى لا خفاء على القطع بالجملة

انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدراً واعظمهم محلاً
واكملهم محاسناً وفضلاً وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهباً جميلاً شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله تعالى
عليه وسلم تفصيلاً فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزاً لجميعها
محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة
بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقب وابي الطفيل والعداء
بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله تعالى
عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج
انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره
سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل
رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد
دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول

الاطاله

الاطاله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكاً افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رأى كالنور
يخرج من ثناياه احسن الناس عنقاً ليس بمطهم ولا مكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت
من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئاً احسن
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه
وقال له رجل كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً وقالت
ام معبد رضي الله عنها في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة رضي الله
عنه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله
عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه
وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه
الكفاية في القصد الى المطلوب ان شاء الله تعالى وقد ختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله
فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك

بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بني الدين على النظافة
حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن
عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي
قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة قال
حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال
ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه
انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا
وريحا كانما اخرجها من جونة عطار وقال غيره مسها
بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار انس رضي الله
عنه فعرق فجاءت امه رضي الله عنها بقارورة تجمع فيها
عرقه فسألها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك
فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر
البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت
رايحته بلا طيب صلى الله تعالى عليه وسلم وروى المزني
والحربي عن جابر رضي الله عنه قال اردفني النبي صلى الله تعالى

عليه

عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي وكان ينم علي مسكا
وحكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله تعالى عليه
وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة واسند محمد بن
سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى
منك شيئا من الاذى فقال لها يا عائشة او ما علمت ان الارض
تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر
وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب
الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها
على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه
حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قبل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى

عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله
بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ويل لك
من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روى نحو
من هذا عنه فى امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع
بطنك ابداً ولم يأمر واحداً منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده
وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح الزم الدارقطنى
مسلماً والبخارى اخراجه فى الصحيح واسم هذه المرأة بركة
واختلف فى نسبها وقيل هى ام ايمن وكانت تخدم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها
ابن جريج وغيره وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروى عن امه آمنة انها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضى الله عنها
ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط وعن
على رضى الله عنه اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله
غيرى فانه لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه وفى حديث
عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله تعالى عليه
وسلم نام حتى سمع له غطيط النائم له فقام فصلى ولم يتوضأ
قال عكرمة لانه كان عليه الصلوة والسلام محفوظا فصل

واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه
واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان صلى الله
تعالى عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبير امور
بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه
لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا
مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه
قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا
وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدأ الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب
عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة رمل من رمال الدنيا وقال
مجاهد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك فى الساجدين وفى الموطأ عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه عن انس رضى الله
عنه فى الصحيحين وعن عائشة رضى الله عنها مثله قالت
زيادة زاده الله اياها فى حجته وفى بعض الروايات انى لانظر
من ورائى كما انظر من بين يدى وفى اخرى انى لابصر من قفائى
كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها

كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى
في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى
عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى
عليه وبيت المقدس حين وصفه بقريش والكعبة حين بنى
مسجده وقد حكي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان
يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية
العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها
الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبياء عليهم السلام وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله
بن احمد العدل من كتابه قال حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغاني
قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها قال حدثنا
الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسيني قال حدثنا محمد بن محمد
بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال حدثنا محمد
بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام قال حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى كان يبصر النملة على الصفاء
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد
الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة اشد اهل
وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية

وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير
مكترث وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه عليه
الصلوة والسلام كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك
بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني
وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن
قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم

من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحواري وعليهم فيها الصالغ والقارح **وقوله**
صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد
وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلماً
ومن آتى الزكوة كان محسناً ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصاً لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق
من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً
ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل
بن حجر يترفل على الاقيال ابن هذا من كتابه صلى الله تعالى
عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهورة
لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط

واكثر

واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون **وكقوله** صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي
المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بلغتنا **وقوله** صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث
العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سل
عنك اي سل عم شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمته المأثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحته ولا يبارى بلاغته **كقوله**
صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم **وقوله** صلى الله تعالى
عليه وسلم الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير
في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له والناس معادن وما هلك
امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت فسلم **وقوله** صلى الله
تعالى عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجلساً يوم القيمة احاسنكم
اخلاقاً الموطؤون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون **وقوله**
صلى الله تعالى عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه **وقوله** صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين

لا يكون عند الله وجيهاً ونهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن قيل
وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات ووأد البنات **وقوله** صلى الله تعالى عليه وسلم
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوساطها **وقوله** صلى الله تعالى عليه
وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة **وقوله**
صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة
من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها
شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها
عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها
من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته صلى الله تعالى عليه وسلم التي لم يسبق اليها ولا قدر احد
ان يفرغ في قالبه عليها **كقوله** صلى الله تعالى عليه وسلم حمي
الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر
العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له

اصحابه

اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل
القرأن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق
كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل
لا نذر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير
الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** واما شرف
نسبه وكرم بلده ومنشئه فيما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه
لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله تعالى عليه
وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده **حدثنا** قاضي القضاة حسين بن
محمد الصدفي قال **حدثنا** القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف قال
حدثنا ابو ذر عبد بن احمد قال **حدثنا** ابو محمد السرخسي
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا **حدثنا** محمد بن يوسف قال
حدثنا محمد بن اسمعيل قال **حدثنا** قتيبة بن سعد قال **حدثنا**
يعقوب بن عبد الرحمن **عن** عمرو **عن** ابي سعيد المقبري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا
حتى كنت من القرن الذي كنت فيه **وعن** العباس رضي الله عنه

قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم
بيتاً وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر
رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار
قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني
منهم فلم ازل خياراً من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان قريشا كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق
آدم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام القى ذلك النور
في صلبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطني الله
تعالى الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على

على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله
عنه في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشهور فصل
واما ما تدعوا ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب
ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضروب
تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل
حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء
تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع
الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن
كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير
نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواتراً من كلام الامم
المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من
سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بالارتباط احدهما
بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا

ابو الفضل الاصبهانى قال حدثنا ابو نعيم قال حدثنا سليمان
بن احمد قال حدثنا ابو بكر بن سهل قال حدثنا عبد الله بن
صالح قال حدثنى معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام بن معدى كرب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم
اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل
والشرب قال سفيان الثورى بقلة الطعام يملك سهر الليل
وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اى كثرة الايدى
وعن عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم شبعا قط وانه كان فى اهله لا يسألهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب
ولا يعترض على هذا بحديث بريرة رضى الله عنها وقوله الم ار
البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم ظنه
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه
اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
هو لها صدقة ولنا هدية وفى حكمة لقمان يا بنى اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء

عن

عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفى صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا آكل
متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له
كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس
على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول
انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس
معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم
على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر
اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى ذلك الاستثقال فيه
والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع
الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثانى ما يتفق
التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورة ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
واما فى الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما
افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه

وسلم وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني
اباهي بكم الامم يوم القيمة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع
الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما بقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن
عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون
النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام
قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله تعالى
عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى بن مريم عليه السلام
تبتل من النساء فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى
على يحيى عليه السلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم
انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء
وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر
عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى

بن

بن مريم عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا
ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بواجب فيها
ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة علياء وهي درجة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه
بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ
دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء
والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء
الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز صلى الله
تعالى عليه وسلم بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت
قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام
في كفاية فتنهن وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه
ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس رضي الله عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور

على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس انه
اعطي صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله
عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة
امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة
وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة
وقد نبه الله تعالى على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة الآية وفي حديث انس رضي الله عنه عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
بقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى
عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو
مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح
ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة في الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي
بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي
عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود رضي الله
عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به
والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة
معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس له فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب
كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر
وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير

موجبه وجوده حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به
الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملئ بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا يتمدح
عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض
من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شئ
والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال
شئ فانظر في سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخلقه
في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلّ له
الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله تعالى عليه
وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك
من الشام والعراق وجلب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرني ان لي احداً ذهبا يبيت
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته صلى الله تعالى
عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستمائة فدفعها

لبعض

لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في الملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهداً وتنزهاً فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها
وزهده في فائتها وبذلها في مظانها فصل واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع
العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهي السمات بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها

والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها بجميعها قد كانت
خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال
الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى وانك لعلى خلق
عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقاً وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه مثله وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكره المحققون
مجبولاً عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر
الانبياء صلوات الله وسلامه ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان
وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة
واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم
صبياً قال المفسرون اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله تعالى
في حال الصباء وقال معمر بن راشد كان ابن سنتين او ثلاث فقال له
الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا
بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن
فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى عليه السلام لامه عند ولادتها

اياه

اياه بقوله لها تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال
اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وقال تعالى ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكماً وعلماً وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو
صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى ابوه
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاماً وكذلك
قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيراً قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل
ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله تعالى
ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ستة عشر سنة وان ابتلاء اسحق عليه
السلام بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم
عليه السلام بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهراً وقيل اوحي الى يوسف عليه السلام وهو صبي عند ما همت
اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير
ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولد حين ولد باسطاً يديه الى الارض رافعاً رأسه الى السماء
وقال في حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت بغضت الى

الاوثان وبعض الى الشعر ولم اهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله
الا مرتين فعصمني منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا
الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع
على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذه الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف
فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه
وقد روى سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرايز
يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق
وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل

واما

واما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل
الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه
صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي
لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما يتفرع منه
متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير
الشرايع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قدوة واشارة
حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك
مما سنبينه في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في ابوابه ان شاء الله
تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم نبي امي
لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد
القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ

جامع وبحسب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت معارفه صلى الله
تعالى عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف
يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو
مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله
سبحانه به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر
بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له
حتى اسئل العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال الله تعالى له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر
اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر
من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى
الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله

محمد

۳۲

محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب قال حدثنا
ابو بكر بن واقد القاضي وغيره قالوا حدثنا ابو عيسى قال
حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى
فينتقم الله بها وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا
وقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال
في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه السلام
على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا ولقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
انظر الى ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله
تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى عنهم ثم اشفق
عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد

ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له
الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يرد صلى الله تعالى
عليه وسلم في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث
ليفتك به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت
شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ
فتركه وعفى عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
ومن عظيم خبره صلى الله تعالى عليه وسلم في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه
لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد علم به واوحي اليه
بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ
عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته
قولا وفعلا بل قد قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمداً
يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه

ثم قال

ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة ولكن تعفو وتصفح فضحك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر
قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة
من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
وما ضرب خادماً ولا امرأة قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم
لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد
بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه
واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء
وتأمره بحسن التقاضي ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر رضي الله عنه يقضيه ماله
ويزيده عشرين صاعاً لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد

عليه الصلوة والسلام الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلماً فاختبره بهذا فوجده كما وصف
والحديث عن حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره وعفوه عند
القدرة اكثر من ان نأتى عليه وحسبك ما ذكرناه بما فى الصحيح
والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره
على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون
فى استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيراً اخ كريم وابن اخ كريم
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب
عليكم اليوم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضى الله
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقد سيق اليه
بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولاطفه فى القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان
لا اله الا الله فقال بابى انت وامى يا رسول الله ما احلمك واوصلك
واكرمك وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس
غضباً واسرعهم رضى صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما الجود
والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم

بينها

بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم
خطره ونفعه وسموه ايضاً حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو التقتير وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى فى هذه
الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه صلى الله
تعالى عليه وسلم حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى قال
حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى قال حدثنا ابو ذر الهروى
قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق
البلخى قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربرى قال حدثنا البخارى
قال حدثنا محمد بن كثير قال حدثنا سفيان عن ابن المنكدر
قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول ما سئل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم عن شىء فقال لا وعن انس وسهل بن
سعد رضى الله عنهما مثله وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان
فى شهر رمضان وكان اذا القيه جبريل اجود بالخير من الريح
المرسلة وعن انس رضى الله عنه ان رجلاً سأله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاعطاه غنماً بين جبلين فرجع الى بلده فقال
اسلموا فان محمداً يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد
مائة من الابل واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له

ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد صلى الله
تعالى عليه وسلم على هوازن سبايها وكانوا ستة آلاف
واعطى العباس رضى الله عنه من الذهب مالم يطق حمله
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله
فقال ما عندى شىء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شىء قضيناه
فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله تعالى مالم تقدر عليه فكره
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا
امرت ذكره الترمذى وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر
زغب يريد قثاء فاعطانى ملء كفه حليا وذهبا قال انس
رضى الله عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله تعالى عليه وسلم كثير وعن
ابى هريرة رضى الله عنه اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء
ونصفه نائل وقد قال ابو على الدقاق من شيوخ المتصوفة
المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهو غاية الكرم
والايثار على رأيهم واصطلاحهم والفاظهم ان هذا الخلق

لا يكون

لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل
واحد فى يوم القيمة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل
قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير
مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما
شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه
صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى قال
حدثنا القاضى سراج قال حدثنا محمد الاصيلى قال حدثنا ابو زيد
الفقيه قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل
قال حدثنا ابن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة
عن ابى اسحق سمع البراء رضى الله عنه وسأله رجل افررتم
يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم لكن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته
على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن
عبد المطلب قيل فما رؤى يومئذ احد كان اشد منه وقال
غيره نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين وذكر مسلم عن العباس رضى الله

عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ
بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله تعالى لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علي
كرم الله وجهه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اذا اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن
نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان
من اشد الناس يومئذ بأساً وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس
رضي الله عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس
واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة
عري والسيف في عنقه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضي الله عنه ما لقي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه
ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا

وقد كان يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدي يوم بدر
عندي فرس اعلفها كل يوم فرقاً من ذرة اقتلك عليها فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما رآه
يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من يد الحارث بن
صمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض بها ثم استقبله النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه
مراراً وقيل بل كسر ضلعاً من اضلاعه فرجع الى قريش يقول
قتلني محمد عليه الصلوة والسلام وهم يقولون لا بأس بك فقال
لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله
لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل
واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيراً من فعله
والاغضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته فكان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات
اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم الآية حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال
حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال

حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا عبدان قال حدثنا عبد الله قال
اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس رضي الله
عنه يحدث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان
اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احداً بما يكرهه حياء وكرم
نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه
ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه صلى الله تعالى عليه
وسلم دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان
لا يواجه احداً بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ويروى ينزعها وقالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح
لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
وقد حكى مثل هذا الكلام عن التورية من رواية عبد الله ابن
سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وروي عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة
رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قط فصل واما حسن عشرته واد به وبسط خلقه عليه الصلوة والسلام

مع

مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي
رضي الله عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اوسع الناس ٨
صدراً واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره
قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا
ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى قالا حدثنا ابو الوليد بن المسلم قال حدثنا الاوزاعي قال
سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد
بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال زارنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حماراً وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه
منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس

بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابي هالة رضي الله عنه قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال الله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية
وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها
وقال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان
احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه احد
من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله رضي الله
عنه ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت ولا رأني
الا تبسم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح اصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب
دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس رضي الله عنه ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده صلى الله تعالى عليه وسلم
فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم
مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام

ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه
ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها
ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء
او قيام وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجلس اليه احد
وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد
الى صلوته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما واطيبهم
نفسا ما لم ينزل عليه قرأن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن
الحارث رضي الله عنه ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم
فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك
في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرأفة
والرحمة بجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال بعضهم من فضله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد
عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو ميرن
ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد

الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج
قال حدثنا ابو طاهر قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا يونس
عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة
وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان
بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا
سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى
وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه صار لاحب الخلق
الى وما روى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال
عليه الصلوة والسلام احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت
فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان اكفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك
قال نعم فجزاك من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم انك قلت ما قلت وفى انفس اصحابى من ذلك شئ فان احببت
فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم
عليك قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء فقال صلى الله تعالى عليه
وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى اكذلك
قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى
وبين ناقتى فانى ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذها
من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها

واستوى

واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه
دخل النار وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغنى
احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله تعالى عليه وسلم
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم
كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته
دخول الكعبة لئلا تعنت امته ورغبته لربه عز وجل
ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبى
فيتجوز ويتجمل فى صلوته ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم
ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته ولعنته فاجعل
ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها
اليك يوم القيمة ولما كذبه صلى الله تعالى عليه وسلم قومه اتاه
جبريل عليه الصلوة والسلام فقال ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك لتأمره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل ارجو
ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به
شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اؤخر عن امتى لعل الله تعالى ان يتوب عليهم

قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله تعالى
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي
ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن
محمد قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس
قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن
يحيى قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن
بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله
بن ابي الحمساء قال بايعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع
قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله
عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اهدي بهدية قال
اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها
كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت
على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان
ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها

فارتاح

فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش اليها واحسن السؤال
عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن
العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء غير انهم
رحم سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم بامامة
ابنة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام
حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه وفد وفد للنجاشي فقام
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه فقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة
محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها
فمتعها وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته
وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر
فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة

ابى لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها
فقيل لا احد وفى حديث خديجة رضى الله عنها انها قالت له
صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزنك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه
وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان صلى الله تعالى عليه
وسلم اشد الناس تواضعاً واقلهم كبراً وحسبك انه خير بين
ان يكون نبياً ملكا او نبياً عبداً فاختار ان يكون نبياً عبداً
فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله تعالى قد اعطاك
بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق
عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه
بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال
حدثنا ابو على الحافظ قال حدثنا ابو عمر قال حدثنا ابن عبد
المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو داود قال حدثنا
ابو بكر بن ابى شيبة قال حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر
عن ابى العنبس عن ابى العدبس عن ابى مرزوق عن ابى غالب
عن ابى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضاً وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويردف

خلفه

خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
يجلس بين اصحابه مختلطاً بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفى حديث عمر رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رضى الله عنه ان امرأة كان فى عقلها
شىء جاءته فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا ام فلان فى اى
طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال فجلست
وجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها
قال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة
فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل
رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة دراهم فقال اللهم
اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة
ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعاً لله تعالى ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه
وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلونى
بين الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن احق بالشك
من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للذي قال له يا خير البرية قال ذاك
ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله
تعالى وعن عائشة والحسن وابي سعيد رضي الله عنهم وغيرهم
في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته في مهنة اهله
ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل
مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن
انس رضي الله عنه قال ان كانت الامة من اماء اهل المدينة
لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته
رعدة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك فاني
لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابي
هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة
قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها فجذب
يده وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا تفعله الاعاجم بملوكها
ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم السراويل فذهبت لاحمله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله
تعالى عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان النبي صلى الله

تعالى عليه

تعالى عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحق كان صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى
الامين بما جمع الله تعالى فيه من الاخلاق الصالحة وقال الله تعالى
مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا اول داخل عليهم فاذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخل
ذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الامين
قد رضيناه وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
والله اني لامين في السماء وامين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون قال
حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة قال حدثنا ابو علي السنجي قال
حدثنا محمد بن محبوب المروزي قال حدثنا ابو عيسى الحافظ قال
حدثنا ابو كريب قال حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان
عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره
لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق
لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك
يسمع كلامنا تخبرني عن محمد عليه الصلوة والسلام صادق ام كاذب

فقال ابو جهل والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش
قد كان فيكم محمد عليه الصلوة والسلام غلاماً حدثاً ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثاً واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك
رقبتها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه
وسلم اصدق الناس لهجة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيح
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس
منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم
يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء
جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس وكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة
من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها
امنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه

كان

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأخذ احداً بقرف احد
ولا يصدق احداً على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله
عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل
الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشاب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت
فيها عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض
شيئاً ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء
فصل واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت
بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي قال حدثنا ابو ذر الهروي
قال حدثنا ابو عبد الله الوراق قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا
ابو داود قال حدثنا عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن
محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب
قال سمعت خارجة بن زيد رضي الله عنه يقول كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبياً وعن جابر بن سمرة رضي الله

عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن متكلم بغير جميل وكان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم
تبسماً وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير
وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته صلى الله تعالى
عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هوناً كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعاً يعرف في مشيته انه غير
غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة رضي الله عنه
كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثاً لو عده العاد احصاه
وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة
الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ويقول صلى الله تعالى
عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني
في الصلوة ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ
في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك

وانقاء

وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل
واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار
في اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها
الى ان توفي صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس
الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال
حدثنا ابو الحسين بن الحجاج قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود
عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثلثة ايام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله تعالى ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع
آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله
تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً وفي حديث
عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضاً جعلها
صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات صلى الله تعالى
عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير

في دف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهباً
فقلت لا يا رب اجوع يوماً واشبع يوماً فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع
فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه
السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرأك السلام ويقول لك
اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيث ما كنت
فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد ناراً ان هو
الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته
من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم
نحوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاوياً
لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق
ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها انما كان
فراشه الذي ينام عليه ادماً حشوه ليف وعن حفصة رضي الله
عنها كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي
مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح

صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال
ردوه بحاله فان وطاءته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام
احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة
رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه
صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء وان كان ليظل جايعاً يلتوي
طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه
جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له
رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء ولو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول صلى الله
تعالى عليه وسلم يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب
الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهراً حتى توفي
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما خوف ربه عز وجل
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال
حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم
الطرابلسي قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد
المروزي قال حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا محمد
بن اسمعيل قال حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن

شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً زاد في روايتنا عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى والله
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً
وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام
وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح
وفي حديث المغيرة رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم
قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال افلا اكون عبداً شكورا ونحوه عن ابي سلمة
وابي هريرة رضي الله عنه وقالت عائشة رضي الله عنها
كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة وايكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم
وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصلياً
ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه

كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ
ثم قام فصلى فقمت معه وبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية
رحمة الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع
فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال
حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية
من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه
اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة وقال عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله
عنه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي
والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن
رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضاء غنيمتي
والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق
شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة

وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي
الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء
والرسل عليهم السلام من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف
النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن في هذه الصفة لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم
اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث
قلوبهم على قلب رجل واحد على خلق رجل واحد على صورة
ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى واذا رجل
ضرب رجل فتى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج
من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه
ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى عليه السلام
كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله من بعد
لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في نثوة اي في كثرة
ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني

من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم
ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال الله تعالى
في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا
وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
الايتين وقال تعالى في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا
وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال تعالى اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى ما دمت
حيا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء
استحياء الحديث وقال الله تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية
وقال تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين
وقال تعالى ان خير من استاجرت القوي الامين وقال تعالى
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم
تعالى باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام حليم وعليم وقال تعالى

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين
وقال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى
في اسمعيل عليه السلام انه كان صادق الوعد الابتين وقال تعالى
في موسى عليه السلام انه كان مخلصاً وقال في سليمان عليه السلام
نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب اولى الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود
عليه السلام انه اواب ثم قال تعالى وشددنا ملكه وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب وقال تعالى عن يوسف عليه السلام
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقال في موسى عليه
السلام ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك امراً وقال
تعالى عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين.
وقال تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما
وعلماً وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية وقال
سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث
كثير كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه
وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي
ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره

الى السماء تخشعا وتواضعاً لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ
الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن
الارض فقال اني اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خفف على داود
القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج
ولا يأكل الا من عمل يده وقال تعالى والنا له الحديد ان اعمل
سابغات وقدر في السرد وكان داود عليه السلام سأل ربه عز وجل
ان يرزقه عملاً بيده يغنيه عن بيت مال الله تعالى وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب
الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوماً وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصاً
ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكياً حيوته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع لحده اخدوداً وقيل كان يخرج متنكراً ليتعرف
سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعاً لله تعالى وقيل
لعيسى عليه السلام لو اتخذت حماراً فقال انا اكرم على الله ان يشغلني

بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت
اينما ادركه النوم وكان احب الاسماء اليه ان يقال له يا مسكين
وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل في بطنه من الهزال وقد قال صلى الله تعالى عليه
وسلم ولقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام
لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود
لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام
العشب وكان يبكي من خشية الله عز وجل حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل
بعريش ويأكل في نقرة حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله تعالى بما اكرمه به من كلامه
واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة
المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك الله
من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلينا
من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله تعالى عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء

ويجمع علم

ويجمع علم خصائصه ذاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا
فيه بالمعروف ومما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم
هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة رضي الله عنهما
لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا
القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة
ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر
التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
بن الحسين النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد
بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي
قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
قال انبأنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال انبأنا ابو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع
قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال
حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين
رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال سألت خالي هند بن ابي هالة
رضي الله عنه قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون

قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن
شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا
ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن
الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال
حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال حدثني علي بن
الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد
بن علي عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال قال الحسن بن علي رضي الله
عنهما واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة رضي الله
عنه عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافاً
وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فخماً مفخماً يتلألأ وجهه
تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر
من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو
وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب
سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى
العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية
ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر

مسيح

مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري
كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
او قال شائن الاطراف وسائر الاطراف سبط العصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء
اذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤاً ويمشي هونا ذريع
المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعاً خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره
الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ
من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين
يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى
ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح

واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب
الغمام قال الحسن فكتمها الحسين بن علي رضي الله عنهم زماناً
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع
منه شيئاً قال الحسين رضي الله عنه سألت ابي رضي الله عنه عن
دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه مأذوناً له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله
ثلاثة اجزاء جزءاً لله وجزءاً لاهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ
جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر
عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل
باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع
ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع ابلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيمة ولا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل
من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون رواداً
ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت
فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس

ويحترس

ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسئل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه
ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة
ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم
عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة
وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر
ولا يوطن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احداً اكرم عليه منه من جالسه او فاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم اباً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين
يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته
صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ

ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار
وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره
ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم
حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم
صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف
كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته صلى الله تعالى
عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم الحلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي
بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى
الوصف بحمد الله وحسن عونه **فصل في تفسير غريب هذا
الحديث ومشكله** قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو
مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل

الذي كانه مشط فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جعد والعقيقة
شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى عقيصته والازهر اللون نيره وقيل
ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال
في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق
هو الناصع البياض والآدم الاسمر اللون ومثله في الحديث
الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج
الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر
العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في
اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر
الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق
يمسك بعضه بعضاً مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء
البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر
ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل
سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض

البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع
في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام
وهو مثله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس
المناكب والكتد مجمع الكتفين والقدمين وشثن الكفين والقدمين
لحميهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل
الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائل الاطراف او قال سائن
بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل
كنى بها عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي
متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط
القدم ومسيح القدمين املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ
بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اي
لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضاً يخالف
قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل
الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع
الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه
خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كما قال يحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه

باشداقه

باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم
واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك
بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه
فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر
بالعامة ويدخلون رواداً اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده
ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر
المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ
للصلاة موضعاً معلوماً وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير
هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن
فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها
اي لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون
يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء
الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم
وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب
الاشفار اي طويل شعرها انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين
وصلى الله تعالى على سيدنا محمد واله وصحبه الطيبين وسلم
تسليماً كثيراً **الباب الثالث** فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين

من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد
ولد آدم وافضلهم منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى
واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً وقد اقتصرنا
منها على صحيحها ومنتشرها وقد حصرنا معاني ما ورد منها
في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته
عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذناً بلفظه قال
حدثنا ابو الحسين الفرغاني قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر
بن يعقوب عن ابيها قال حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى
وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني قال حدثنا قيس عن الاعمش
عن عباية الربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني
من خيرهم قسماً فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة والسابقون السابقون فانا من خيار السابقين وانا خير
السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني من خيرها بيتاً
وذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

ويطهركم

ويطهركم تطهيراً وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين
الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض
ومغاربها فلم ار رجلاً افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسري به فاستصعب
عليه فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله تعالى
آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح
في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ولم يزل
ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى
اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا
اشار العباس رضي الله عنه بن عبد المطلب بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

في ابيات آخر

وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها ولست تحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضائت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق
يا برد نار الخليل ناسبا لعصمة النار وهي تحترق

وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم السود والحمر العجم وقيل البيض وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس

والسود

والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا واتخذت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى له ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة رضي الله عنه

بشرني يعني به اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا يجوع
امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعز والرعب يسعى بين
يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبي
من الانبياء الا وقد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة **ومعنى هذا الحديث** عند المحققين
بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهب
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام
يطول هذا نكتته وقد بسطنا القول فيه هذا وفيما ذكر فيه
سوى هذا آخر باب المعجزات **وعن** على رضي الله عنه كل نبي
اعطى سبعة نجباء من امته واعطى نبيكم صلى الله تعالى عليه
وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد
بعدي من امتي وانما حلت لي ساعة من نهار **وعن** عرباض
بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اني عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته

عدة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم **وعن** ابن عباس رضي الله
عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
على اهل السماء وعلى الانبياء كلهم قالوا فما فضله على اهل
السماء قال ان الله قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه
وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله على الانبياء
قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله عنهم
فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انها
خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما
لنا اذ جاء ني رجلان عليهما ثياب بيض **وفي رواية اخرى**
ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا
منه قلبي فشقاه واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث
آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار

الناظر دونه بهاء فختم به قلبي فامتلأ ايماناً وحكمة ثم اعاده مكانه
وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية اخرى
ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال قلب وكيع اي شديد فيه
عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه
زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فوزنتهم
ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك
وملائكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا
عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث
السمرقندي وغيرهما ان آدم عليه الصلوة والسلام عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى وتقبل توبتي
فقال له الله تعالى من اين عرفت محمداً فقال رأيت في كل موضع
من الجنة مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
فتاب عليه وفي الرواية الاخرى قال فقال آدم عليه الصلوة
والسلام لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذاً فيه مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدراً

عندك

٥٨

عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي
وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابي محمد وقيل
بابي البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة
سياحين عبادتها على كل دار فيها اسمه احمد او محمد اكراما
منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد
رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجباً لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن ايقن بالنار كيف
يضحك عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله من قالها لا اعذبه وذكر انه وجد على الحجارة
القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد وعلى احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله
وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند ورداً احمر مكتوب عليه
بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن
محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه

محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام **وروى**
ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال
سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نمى
ورزقوا ورزق جيرانهم **وعنه** صلى الله تعالى عليه وسلم
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة **وعن** علي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع
قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم
الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب **وعن** عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار
منها قلب محمد واصطفاه لنفسه فبعثه برسالته **وحكى**
النقاش ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً الاية
قام خطيباً فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم
تفضيلاً وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث **فصل**
في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تضمنته كرامة الاسراء
من المناجات والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة
المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله
تعالى عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه في كتابه العزيز وشرحته صحاح الاخبار
قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
لقد

لقد رأى من آيات ربه الكبرى **فلا خلاف** بين المسلمين في صحة
الاسراء به عليه الصلوة والسلام اذ هو نص القرآن وجاءت
بتفضيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير
الى زيادة من غيره يجب ذكرها **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي
والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا **حدثنا** ابو العباس العذري قال
حدثنا ابو العباس الرازي قال **حدثنا** ابو احمد الجلودي قال
حدثنا ابو سفيان قال **حدثنا** مسلم بن الحجاج قال **حدثنا** شيبان
بن فروخ قال **حدثنا** حماد بن سلمة قال **حدثنا** ثابت البناني
عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث

اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا فرحبابي ودعوالي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي ثم عرج بنا
الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة وثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي
خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة فقال ارجع
الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك
فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم فرجعت الى ربي
فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك

فارجع

فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم
وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت له
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي جود ثابت هذا الحديث عن انس رضي الله عنه
ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه
غيره عن انس رضي الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية
شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق
صدره وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي
وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية
حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل عليه الصلوة والسلام
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة منفردة من حديث
الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء

الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل
اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن شهاب عن انس
رضى الله عنه قال كان ابو ذر رضى الله عنه يحدث ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتى فنزل جبريل
ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وعلماً فافرغها فى صدرى ثم اطبقه ثم اخذ
بيدى فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة
الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما
قال وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف فى ترتيب
الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس رضى الله عنه
اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا منها فى حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبى له مرحباً بالنبى الصالح والاخ الصالح
الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم عرج بى حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
رضى الله عنه ثم انطلق بى حتى اتيت سدرة المنتهى
فغشيها الوان لا ادرى ما هى قال ثم ادخلت الجنة وفى
حديث مالك بن صعصعة رضى الله عنه فلما جاوزته يعنى
موسى عليه السلام بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا

غلام

غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتى وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه وقد رأيتنى
فى جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأنى بالسلام
وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ثم سار حتى اتى
الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال
هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه
قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر
كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمان عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال وانا محمد اثنى على ربه فقال كلكم اثنى
على ربه وانا اثنى على ربى فاقول الحمد لله الذى ارسلنى رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وانزل على الفرقان فيه
تبيان كل شئ وجعل امتى خير امة وجعل امتى امة وسطا
وجعل امتى هم الاولون وهم الآخرون وشرح لى صدرى
ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما
فقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا فضلكم محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به من السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه

وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها
ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها تنتهي
ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى وقال فراش من ذهب **وفي رواية ابي هريرة** رضي الله عنه
من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها
كل احد من امتك خلى على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج
من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال
فهو كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال الله تبارك وتعالى له
سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له
الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التورية وعلمت
عيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك حبيبا هو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الآخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا

انك

انك عبدي ورسولي وجعلتك اول الانبياء خلقا وآخرهم
بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما **وفي** الرواية الاخرى
قال فاعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا اعطي
الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر
لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد
ما رأى الآيتين رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة
جناح **وفي حديث** شريك انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى
موسى عليه السلام في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه
السلام لم اظن ان يرفع علي احد **وقد روي** عن انس رضي الله
عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاط
فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور
الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت
ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي **وذكر** البزار عن علي رضي الله

عنه قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها
جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى انتهى بها
الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد
ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه
لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال
ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه فام
اهل السماء فيهم ادم ونوح عليهما السلام قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم الشرف على اهل السموات واهل الارض قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب
فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر

محسوس

محسوس ولكن حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم وادراكهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج
ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه
ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته
وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول
جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي
الرحمن فيحتمل على حذف المضاف اي الذي يلي عرش الرحمن
او امر اما من عظيم اياته او من مبادي حقائق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها
اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر
فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء
الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب اي وهو لا يراه اذ حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه
فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله ورفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف

والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث مقالات
فذهب طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب
معاوية رضي الله عنه وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه
واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس وقيل راها عام الحديبية وما حكي
عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وقوله بينا انا نائم فقول انس رضي الله عنه وهو
نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف
والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق
وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة
ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود رضي الله
عنهم والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن مسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد
وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها
وهو قول الطبري واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة
من المسجد الحرام الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا
بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء
ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى
ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس رضي الله عنه وغيره ما تقدم
من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا
عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح
في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة اذ لو كان مناماً
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا في المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الا وقد علموا
ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلوته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس رضي الله
عنه او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل عليه السلام له
بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال من انت ومن
معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به

وشانه في فرض الصلوة ومراجعته موسى عليه السلام
في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل عليه السلام
بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل
الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنهما هي
رؤيا عين رآها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله عنها قالت ما اسري
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك
الليلة صلى العشاء الاخيرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر
اهبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما صلى الصبح
وصلينا معه قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخيرة
كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه
بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه من رواية شداد بن اوس
عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل
عليه السلام حملني الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة

اسري بي

٦٥ اسري بي في مقدم المسجد الاقصى ثم دخلت الصخرة فاذا بملك
قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة
غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل
جبريل عليه السلام فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم
الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله عنه
اتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر رضي الله عنه وقد روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت
عن جانبها والله اعلم فصل في ابطال حجج من قال انها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده يرده
لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيده انها
رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به
احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع
في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها

فى الحديث مناماً وفى حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضاً وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل
ان اول وصول الملك اليه وهو نائم او اول حمله والاسراء به
وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائماً فى القصة كلها
الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم
آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله
وانما كان فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد
الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى
من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام **ووجه ثالث** ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه
لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله ولا يصح ان يكون هذا
فى وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له فى هذه الاسراء حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية عبد بن حميد عن همام
بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه
بينا انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله فى الرواية

الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالباً وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا
الحديث انما هى من رواية شريك عن انس رضى الله عنه وهى
منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحة انما كان
فى صغره عليه الصلوة والسلام وقبل النبوة ولانه قال
فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما فى رواية انس رضى الله عنه مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن
صعصعة رضى الله عنه وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن
صعصعة رضى الله عنه على الشك وقال انس رضى الله عنه مرة
كان ابو ذر رضى الله عنه يحدث واما قول عائشة رضى الله عنها
ما فقد جسده فعائشة رضى الله عنها لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا فى سن من يضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسراء متى كان فان الاسراء
كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد
المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضى الله عنها فى الهجرة
بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك
تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة رضى الله

عنها دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هانى وغيره وايضا فليس حديث عائشة رضى الله عنها
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعنى حديث ام هانى
رضى الله عنه وما الذى ذكرت فيه خديجة رضى الله عنها
وايضاً فقد روى في حديث عائشة رضى الله عنها
ما فقدت ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
الشريف لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين
ولو كانت عندها مناماً لم تنكره **فان قيل** فقد قال الله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رآه للقلب وهذا يدل
على انه رؤيا نوم ووحى لا مشاهدة عين وحس **قلنا**
يقابله قوله ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر
الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
اى لم يوهم القلب العين وغير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه **فصل** واما رؤيته صلى الله
تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها
وانكرته عائشة رضى الله عنها **حدثنا** ابو الحسين سراج بن
عبد الملك الحافظ بقراءتى عليه قال **حدثنى** ابى وابو عبد الله
بن عتاب قالا **حدثنا** القاضى يونس بن مغيث قال **حدثنا**
ابو الفضل الصقلى قال **حدثنا** ثابت بن قاسم بن ثابت **عن** ابيه

وجده قالا **حدثنا** عبد الله بن على قال **حدثنا** محمود بن آدم قال
حدثنا وكيع **عن** ابن ابى خالد **عن** عامر **عن** مسروق انه قال
لعائشة رضى الله عنها يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمداً صلى الله تعالى
عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة رضى الله عنها
وهو المشهور عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره ومثله روى
عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال انما رأى جبريل عليه السلام
واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته تعالى
في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين **وعن**
ابن عباس رضى الله عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه
انه رآه بقلبه وعن ابى العالية عنه انه رآه بفؤاده مرتين
وذكر ابن اسحق ان ابن عمر رضى الله عنهما ارسل الى ابن
عباس رضى الله عنهما يسئله هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه وروى
ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام
وابراهيم بالخلة ومحمداً صلى الله تعالى عليهم وسلم بالرؤية
وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى
ولقد رآه نزلة اخرى **قال** الماوردى قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم

فرأه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وكلمه موسى عليه
السلام مرتين وحكى ابو الفتح الرازى وابو الليث السمرقندى
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن
عباس رضى الله عنهما وكعب فقال ابن عباس رضى الله عنهما
اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تعالى قسم
رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام فكلمه
موسى عليه السلام ورأه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه
وروى شريك عن ابى ذر رضى الله عنه فى تفسير الاية قال
رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه وحكى السمرقندى عن محمد
بن كعب القرظى وربيع بن انس ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى
وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن
كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه
وحكاه ابو عمر الطلمنكى عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود رضى الله عنه وحكى ابن اسحق
ان مروان سئل ابا هريرة رضى الله عنه هل رأى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش
عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضى الله عنهما



بعينه رأى ربه رآه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعنى نفس احمد بن
حنبل وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه جبن على القول
برؤيته فى الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه
لا اقول رأه ولا لم يره وقد اختلف فى تأويل الآية عن ابن
عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس رضى الله
عنهما وعكرمة رأه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل
عليه السلام وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال
رأه وعن ابن عطاء فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال
شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى عليه السلام للكلام
وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وجماعة من اصحابه
انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه وقال
كل آية اوتيها نبى من الانبياء فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز
ان يكون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله والحق الذى لا امتراء
فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها
ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه
بل لم يسئل الا جائزاً غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى
اى لن تطيق ولا تحمل رؤيتى ثم ضرب الله له مثالا مما هو اقوى

من بنية موسى عليه السلام واثبت وهو الجبل وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس
في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لاختلاف
التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الابصار
اي ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار اي لا تحيط به وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الابصار
وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع
الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني
الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم
ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضاً
فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع فيه سبيل وقوله تعالى تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدر لي
وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت
لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا
ممتنعة لضعف تراكيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة

غرضاً للآفات والفناء فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان
في الآخرة وركبوا تركيباً آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية
واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس قال لم ير في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا
ابصاراً باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوى الله من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه
والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين
ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله تبارك وتعالى فلذلك
خر صعقاً وان الجبل رأى ربه فصار دكاً بادراك خلقه الله
تعالى له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً وتجليه للجبل
ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقاً بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى عليه السلام وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال

برؤية نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم له اذ جعله دليلاً
على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص في المنع
واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والقول بانه
رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضاً ولا نص اذ المعول فيه
على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن
ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده ولم يسنده
الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث ابي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية وحديث معاذ
رضي الله عنه محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن
وحديث ابي ذر رضي الله عنه آخر مختلف محتمل مشكل فروي
نور اَنّى اراه **وحكى** بعض مشايخنا انه روي نوراني اراه
وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نوراً وليس يمكن
الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت
نوراً فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نوراً منعه وحجبه
عن رؤية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نور انّى اراه اي كيف
اراه مع حجاب النور المغشي البصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر
حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي
مرتين وتلى قوله تعالى ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث
نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة

فيه ولا

فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب **فصل**
واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه
بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام
وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا شذوذاً منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمداً
صلى الله تعالى عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وانكره
آخرون **وذكر** النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة
الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام في قوله ثم دنى فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام
ربي وهو يقول لي ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن **وفي حديث**
انس رضي الله عنه في الاسراء نحو منه **وقد احتجوا** في هذا بقوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب
او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشآء **فقالوا** هي ثلاثة اقسام
الكلام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه الصلوة والسلام
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر حال نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم الثالث قوله وحياً ولم يبق من تقسيم صور
الكلام الا المشافهة مع المشاهدة **وقد قيل** الوحي هنا ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دون واسطة **وقد ذكر**

ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الاسراء ما هو اوضح
في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الآذان مثل ذلك
ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا
مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله عز وجل لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد
عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص
ذلك في الكتاب العزيز واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع
الكلام فسبحان من اختص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق
بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى فاكثر المفسرين يقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة
والسلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة المنتهى
قاله الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد
في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي

عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب دنى من محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه **وحكى** النقاش
عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى
فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من عظمته وقدرته قال وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر فتدلى الرفرف
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
ودنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
فسمعت كلام ربي **وعن** انس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي
جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى
اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسراء **وعن** محمد بن كعب
هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنى من ربه فكان قاب قوسين
او ادنى **وقال** جعفر بن محمد ادناه ربه حتى كان منه كقاب
قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال ايضاً انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى
كيف حجب جبريل عليه السلام من دنوه ودنا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم انما وقع من اضافة
الدنو والقرب هنا الى الله ومن الله تعالى فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس

بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار
معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له
مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان وقال الواسطي من توهم انه بنفسه دنى
جعل ثمة مسافة بل كل ما دنى بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني
عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين
او ادنى فمن جعل الضمير عائد الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام
على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح
المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي
وانافة المنزلة والمرتبة من الله ويتأول فيه ما يتأول في قوله
من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة اي قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل بالمأمول **فصل** في ذكر تفضيله صلى الله تعا عليه وسلم
في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي قال حدثنا
ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجي
قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي قال حدثنا الحسين بن
يزيد الكوفي قال حدثنا عبد السلام بن حرب عن الليث
عن الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله

تعا عليه

تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا آيسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس
في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا وانا قائدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ايئسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون
وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انا سيد ولد آدم يوم
القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من بني آدم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد
ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر واول شافع
واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر
وعن انس رضي الله عنه انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر
الناس تبعاً وعن انس رضي الله عنه انا سيد الناس يوم القيمة
وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر

حديث الشفاعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجراً يوم القيمة
وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى
كلمة الله فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة
اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي واجعلني من امتك
واما عيسى فالانبياء كلهم اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله
انا سيد الناس يوم القيمة وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة
دون غيره اذا لجأ الناس اليه في ذلك لم يجدوا سواه والسيد
هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيداً
منفرداً من البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا
والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين
لذلك في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون
دعوى من احد وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت
ان لا افتح لاحد قبلك وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضي مسيرة

شهر

شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه
اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة
لم يظمأ ابداً وعن ابي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله
ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان
مثله وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال ايلة وصنعا
وقال ابن عمر رضي الله عنهما كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضاً انس وجابر بن سمرة وابن عمر
وعقبة وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو
برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم
وابن مسعود وعبدالله بن زيد وسهل بن سعد الساعدي
وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبدالله الصنابحي
وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسما بنتا ابي بكر
وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو بكرة وخولة
بنت قيس رضي الله عنهم وغيرهم فصل في تفضيله صلى الله
تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة
واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله
اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة
بنت احمد بن محمد قال حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين
بن محمد الحافظ سماعاً عليه قال حدثنا القاضي ابو الوليد
قال حدثنا عبد بن احمد قال حدثنا ابو الهيثم قال حدثنا

ابو عبد الله محمد بن يوسف قال **حدثنا** محمد بن اسمعيل قال
حدثنا محمد بن عبد الله قال **حدثنا** ابو عامر قال **حدثنا** فليح
قال **حدثنا** ابو النضر **عن** بسر بن سعيد **عن** ابي سعيد رضي الله
عنه **عن** النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذاً
خليلاً غير ربي لاتخذت ابا بكر **وفي حديث آخر** وان صاحبكم
خليل الله **ومن طريق** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً **وعن** ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حديثهم فقال بعضهم
عجباً ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلاً وقال آخر ماذا
باعجب من كلام موسى وكلمه الله تعالى تكليماً وقال آخر
فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله تعالى
فخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلاً وهو
كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو
كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله
ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر **وفي حديث** ابي هريرة رضي الله

عنه

عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اني
اتخذتك خليلاً فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف في تفسير الخلة
واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس
في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة
الاستصفاء وسمي ابراهيم عليه السلام خليل الله لانه
يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماماً
لمن بعده وقيل الخلة اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره
اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به
في النار فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا **وقال** ابن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين تعالى ذلك بقوله وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم الآية فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال
هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها
العداوة كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم
ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذن تسمية ابراهيم

محمد عليه الصلوة والسلام بالخلة اما لانقطاعهما الى الله تعالى
ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب
عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما او خفي الطاف عندهما او ما خالل بواطنهما من اسرار
الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته به او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره
ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب
القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالخلة ومحمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه خليلا وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة
وغيرهم رضي الله عنهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة
الخليل ابراهيم عليه الصلوة والسلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق
المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق
وهي درجة المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة

اسباب

اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال
في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد الى الله والانقطاع والاعراض عن غير الله وصفاء القلب
لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذن مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة
بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد عليه السلام ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا
بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه
بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام
ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك

قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين والحبيب
يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم
لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي
حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل
على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **اخبرنا** الشيخ ابو علي الغساني
الجياني فيما كتب الي بخطه قال **حدثنا** سراج بن عبد الله القاضي
قال **حدثنا** ابو محمد الاصيلي قال **حدثنا** ابو زيد المروزي وابو احمد
قالا **حدثنا** محمد بن يوسف قال **حدثنا** محمد بن اسمعيل قال
حدثنا اسمعيل بن ابان قال **حدثنا** ابو الاحوص **عن** آدم بن علي

قال سمعت

قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود **وعن** ابي هريرة
رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يعني قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي
الشفاعة **وروى** كعب بن مالك رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل
فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول
فذلك المقام المحمود **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما وذكر
حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده **وعن** ابن مسعود رضي الله
عنه عنه عليه الصلوة والسلام انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو الذي اشفع لامتي فيه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله
تبارك وتعالى على كرسيه الحديث **وعن** ابي موسى رضي الله عنه
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين **وعن** ابي هريرة

رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصاً يصدق لسانه
قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اريت ما تلقى من بعدي وسفك بعضهم دماء
بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله تعالى
ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل وقال حذيفة
رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم
نفس الا باذنه فينادي يا محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك هو
المقام المحمود الذي ذكره الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة
من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة
الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسألون آدم عليه السلام وغيره بعده في الشفاعة لهم
فكل يعتذر حتى يأتوا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم
فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه
ايضاً ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه ليزيد الفقير

سمعت

سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله
فيه قال نعم قال فانه مقام محمد عليه الصلوة والسلام المحمود
الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث
الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس رضي الله عنه نحوه
وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وقال قتادة كان اهل
العلم يرون المقام المحمود وشفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام
المحمود هو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة مذاهب
السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك
جاءت منتشرة في صحيح الاخبار عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا يثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند بنظر ولو صحت لكان لها
تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في صحاح الآثار يرده فلا يجب ان نلتفت اليه مع انه لم يأت
في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره
منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة رضي الله
عنهما وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله
تعالى عليه وسلم يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا وفي طريق آخر
عنه عليه السلام ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم

زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله
عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا الا تشفع لنا
الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس رضي الله
عنه ويذكر خطيئته التي اصاب سؤال ربه بغير علم
وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله
فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل
الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه
نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته
التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن

عليكم

عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه ٧٨
وما تأخر فاوني فاقول لهم انا لها فانطلق فاستأذن على ربي
فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت
العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي
من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال
في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فيقال لي يا محمد ارفع رأسك
وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
من الابواب ولم يذكر في رواية انس رضي الله عنه هذا الفصل
ثم قال مكانه فاخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي
امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل
قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي

وجبر يائى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية
قتادة عنه قال فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة فاقول يارب
ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود وعن
ابى بكر وعقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة رضى الله عنهم
مثله قال فيأتون محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فيؤذن له وتأتى
الامانة والرحم فيقومان عن جنبى الصراط وذكر فى رواية
ابى مالك عن حذيفة رضى الله عنه فيأتون محمداً صلى الله تعالى
عليه وسلم فيشفع لهم ويضرب الصراط فيمرون اولهم
كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى عليه
وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس
وذكر آخرهم جواز الحديث وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه
فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس رضى الله عنهما
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم توضع للانبياء منابر من نور
يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين يدى
ربى منتصباً فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
فى امتك من نقمة ومن طريق زياد النميرى عن انس رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق

الارض

الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر
ومعى لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فاتى فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى
فيستقبلنى الجبار تعالى فاخر له ساجداً وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية انس رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى الارض
من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار
ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود من اول
الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم
الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع
الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة
رضى الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب
عليه من امته الى الجنة كما تقدم فى الحديث ثم يشفع فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله تعالى
عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة يدعوها
واختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة قال اهل العلم
معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبى منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد ولكن حالهم عند الدعاء بها

انيس
صح

بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد
وابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي
دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن انس رضي الله عنه مثل رواية
ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله عنه فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله تعالى
عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا
منع بعضها واعطي بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم
الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن
ما جزى نبيا عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي
عليهما قالا حدثنا ابو علي الغساني قال حدثنا النمري قال حدثنا
ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر التمار قال حدثنا ابو داود
قال حدثنا محمد بن سلمة قال حدثنا ابن وهب عن ابن ابي لهيعة
وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه انه

سمع النبي

سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله
عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله
تعالى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة
رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة
اذ عرض لي نهر حافتاه فيهما اللؤلؤ مثل القباب قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله تعالى قال ثم ضرب
بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو
رضي الله عنهم مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه
احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري
ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الشفاعة
ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ايضا قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله تعالى اياه
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي
اعطاه الله اياه وعن حذيفة رضي الله عنه فيما ذكره عليه الصلوة
والسلام عن ربه واعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل
في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي لهن من الازواج

والحذر فصل فان قلت فاذا تقرر من دليل القرآن وصحيح
الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى
الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا
الفارسي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا
مسلم قال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا
شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم
صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه في اليهودي الذي قال والذي
اصطفى موسى عليه السلام على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال
تقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احداً افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود
رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الآخر فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تأويلات

احدها ان نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله ولا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف
عن التفضيل الوجه الثاني انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم
من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلاً
يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم
منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله
تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضباً فظن
ان لن نقدر عليه فربما يتخيل لمن لا علم عنده حطيطة بذلك
الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان
الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل
ومنهم اولو العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا علياً
ومنهم من اوتي الحكم صبياً واوتي بعضهم الزبور واوتي
بعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال
ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى
واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع
الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روى
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
موضع الفتنة من الاوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته
او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة
منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب
وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا راجع الى القائل نفسه
اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ
انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل
واعلى فان تلك الاقدار لم تحطه عنها مقدار حبة خردل
ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل
في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا
ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال
حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد
بن وضاح قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك عن ابن

شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن
خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره
عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة في صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل
من حَمِدَ وافضل من حُمِدَ واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد
ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هنالك
مقاماً محموداً كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته
صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال
عليه الصلوة والسلام ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو ان الله جل اسمه
حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب
وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس
او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد عليه الصلوة والسلام فسمى قوم

قليل من العرب ابنائهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى
ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى
السلمى لا سابع لهم ويقال ان اول من تسمى به محمد بن سفيان
واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به
ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك
احد فى امره حتى تحققت السمتان له صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم ينازع فيهما واما قوله عليه الصلوة والسلام وانا الماحى الذى
يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة
وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله
تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره فى الحديث انه الذى
محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس
على قدمى اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال تعالى
وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفى
الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعده نبى وقيل معنى على قدمى
انه يحشر الناس بمشاهدتى كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء قيل انها موجودة فى الكتب
المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة والله اعلم

وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لى عشرة اسماء فذكر
منها طه ويس كما حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه
انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى
وجعفر بن محمد وذكر غيره ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لى عشرة اسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول وقال
وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد
عن الحربى وهو اشبه بالتفسير ووقع ايضا فى كتب الانبياء
قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم لى فى القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث عن جبير
بن مطعم هى ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وماحى وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يسمى لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد
والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة ويروى
ونبى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى
هو معنى العاقب وقيل المتبع لهدى النبيين واما نبى الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم
وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقد قال تعالى فيهم
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضا
فبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله تعالى عليه وسلم بالتراحم
واثنى عليهم فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال عليه الصلوة
والسلام الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
وهي صحيحة وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث ابي موسى رضي الله عنه
وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديث انه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اى مجتمع قال
والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته معلوم
وقد جائت من القابه وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة

وجرى منها في كتب الله المتقدمة مثلها وكتب انبيائه
واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة
والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم
والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المتوكل
والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس
وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل
وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والخاتم
حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب والخاتم الذي ختم الله به
الانبياء والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه في التورية احيد وروى ذلك ابن سيرين

ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسراً فى الانجيل
قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل
على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام
وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى
فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب
واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها
مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم
وروى عن انس رضى الله عنه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل
عليه الصلوة والسلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم
فصل فى تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بما سماه به
من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفات العلى قال القاضى
ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول الباب
الاول لانخراطه فى سلك مضمونه وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار
الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل
الذى قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى
خص كثيراً من انبيائه عليهم السلام بكرامة خلعها عليهم من اسمائه
كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم
ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وهرون

ويوسف

٨٥

ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمداً
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بان حلاه منها فى كتابه العزيز
وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال
الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين
ولا من تفرغ فيها للتأليف فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل
نحو ثلاثين اسماً ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه
يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى
الحميد بمعنى المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم محمداً واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور
داود عليه الصلوة والسلام واحمد بمعنى اكبر من حمد
واجل من حمد والى نحو هذا اشار حسان رضى الله عنه بقوله
الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى وامجد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه
فى كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى
الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق امره وكذلك المبين
اى البين امره والهيته بان وابان بمعنى واحد ويكون بمعنى
المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين

وقال وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته
او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم
ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور
السموات والارض بالانوار او منور قلوب المؤمنين بالهداية
وسماه نوراً فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل القرآن وقال فيه وسراجاً منيراً
سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم
وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيداً وشاهداً
فقال انا ارسلناك شاهداً وقال ويكون الرسول عليكم
شهيداً وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي
وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى
كريماً بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل هو جبريل عليه السلام وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه الصلوة
والسلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وانك

وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل
عليه السلام وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق
عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر
وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة
يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اما لاصلاحه
لامته بالهداية والتعليم او لقهره اعدائه او لعلو منزلته
على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن جبرية
المتكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه
تعالى الخبير ومعناه المطلع على كنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسئل به خبيراً قال القاضي
بكر بن العلا المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال غيره
بل السائل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الله تعالى
فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه
وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه
تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى

ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وقيل معناه مبتدى الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه
محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء
الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى
هريرة رضى الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه
على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً
وخاتماً فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله
او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم
فى الانبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم
كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه
تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل
وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحاً عليه
السلام فقال انه كان عبداً شكوراً وقد وصف النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك فقال افلا اكون عبداً شكوراً اى معترفاً
بنعم ربى عارفاً بقدر ذلك مثنياً عليه مجهداً نفسى
فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك

عظيماً

عظيماً ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء
قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول
ولا آخر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم كنت اول الانبياء
فى الخلق وآخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمداً صلى الله
تعالى عليه وسلم وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون والسابقون
وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة
واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوى
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى
بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد عليه
الصلوة والسلام وقيل جبريل عليه الصلوة والسلام ومن
اسمائه تعالى الصادق المصدوق فى الحديث المأثور وورد
فى الحديث ايضاً تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقد قال
عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن وقال الله تعالى
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى العفو

ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم في القرآن والتورية والانجيل وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل
عليه السلام وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك
وقال في التورية والانجيل في الحديث المشهور في صفته
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى
الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل
من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى له وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا والهداية بالمعنى الاول مختص بالله قال تعالى انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى
الدلالة تطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن
المهيمن قيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد بنفسه وقيل المؤمن
عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل
المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى

ومعناه

ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان
عليه الصلوة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل
النبوة وبعدها وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من   خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى
المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر عن سمات الحدوث وسمي بيت المقدس به لانه يتطهر
فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس
ووقع في كتب الانبياء في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم
المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من
الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه
الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد
وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم

ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشراً ونذيراً اى مبشراً لاهل
طاعته ونذيراً لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل
ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل
اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى
صفاته لا تشبه شيئاً من مخلوقاته ولا تشبه به وان ما جاء
بما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق
فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته
واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من
قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات
غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطي بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم وكفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة

موافقة

موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها
صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة وقد فسر الامام
ابو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع من مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات
المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر
واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي
الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف
بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس
محقق والفصل الاخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير
لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي
الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته الباب

الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به
من الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوة نبينا
عليه الصلوة والسلام ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب
البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها
ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل
نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تأكيداً في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته
ومشاهير آياته ليدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها
بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع اوكاد واضفنا
اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه
ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله
وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى
هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم الى عبد الله بن سلام رضي الله عنه
قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه
كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى

البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر
وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه الحديث
وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره
ان ضماداً لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال له اعد علي
كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك
ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق
فاخبر انه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة
فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير فقال بكم قلنا
بكذا وكذا وسقاً من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت
انا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا
التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي
وهو ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي **وقال** نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم يكن فيه آيات مبينة　　لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء **وذكره** بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم بما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله

وهذا

وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا والنبوة في لغة من همزه مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبئا فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فهو فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان **واما الرسول** فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة في الرسول وهو الامر بالانذار

والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين
الاسمين ولو كانا شيئا واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام
البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا قبلك من رسول الى امة
او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير مرسل وان امر
بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجماء الغفير
ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً واول الرسل آدم عليه
الصلوة والسلام وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه انه قال ان الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه الصلوة والسلام
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا ذاتا للنبي عند المحققين
ولا صفة ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب
واللحظ لسرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه
قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي الستر
والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين

ليوحون

ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه
قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل
ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي
ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا
ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان
بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا
عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم
عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي
بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام الشجر ونبع الماء من الاصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك
على يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه
من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي
ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته
وبراهين صدقه من هذين النوعين معاً وهو اكثر الرسل
معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهاناً كما سنبينه وهي
في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحداً منها وهو القرآن
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي عليه
الصلوة والسلام قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال
اهل العلم واقصر سورة انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات

منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله
تعالى عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر
هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو
في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه
اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض
ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه
صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ
واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت
على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا
كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر
بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر

رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع
منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى
واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق
القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر بوجوده ولا يعدل عن ظاهر
الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل يرغم بهذا انفه وينبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة
نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء
الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة
عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم
ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق
وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رواه
كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون
عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة

ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير
معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء
رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم
بعضاً ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق
بالقطعي من معجزاته كما بيناه وايضاً فان امثال الاخبار التي
لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول
الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة
واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الواردة من طريق
الآحاد لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهوراً ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولاً وللطاعن
عليها الا حسرة وغليلاً وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه
بما يكون وكان معلوماً من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه **وقد قال به** من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر
وغيرهما وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع
الحديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه
الذي ذكرنا ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجوداً وانها

مدينة عظيمة ودار الامارة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلاً عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك
بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن
في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان
عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً
عما سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها
بياناً ان شاء الله تعالى **فصل في اعجاز القرآن** اعلم وفقنا الله
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة اوجه
اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك لانهم كانوا ارباب
هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم
بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب
جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون
منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين

الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرؤن
الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع
القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة
والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل
باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير
والمهين وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر
وتساجلوا فى النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبادرت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه

والنطق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا
فى هذه الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا واكثر فى السجع
والشعر ارتجالا وسجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون
صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما
على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين.
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
الى ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية وقل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل
اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب والمختلق
على الاختيار اقرب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثانى فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم
غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم آلهتهم وآبائهم ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته
محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب
والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر
مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضاء

بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف الله عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا
لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له
حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وحكى ابو عبيد ان اعرابياً سمع
رجلاً يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع اخر رجلاً يقرأ فلما استيئسوا منه
خلصوا نجياً فقال اشهد ان مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا
الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نائماً
بالمسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلاً من اسارى المسلمين يقرأ
آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله تعالى

على عيسى بن مريم عليه السلام من احوال الدنيا والآخرة
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه
فاولئك هم الفائزون وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او تعد هذا فصاحة
بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية
فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره
على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وعجز
العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه صلى الله تعالى عليه
وسلم متحديا به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة
وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجازه بلاغته وانت
اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقوله تعالى ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية
وقوله تعالى فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً
الآية واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته
من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها

وحسن تأليف حروفها وتلائم كلماتها وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معادات لمعادها **فصل الوجه الثاني** من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهيج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريش عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب

ترد فاجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول كاهن فقال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفت الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيداً الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم لقد علمتم اني لم اترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه **وفي حديث** اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيساً فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ابي ذر قلت فما يقول الناس قال شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعراء فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها

او الاسلوب الغريب بذاته اذ كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق
ولم يقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة
المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع
البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر عنه
القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً
ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه **وقد اختلف** اهل السنة في وجه
عجزهم عنه واكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح
ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار
الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز
العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز
واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال
فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كأسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم

بحيث

بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً ولا يرضونه الا اضطراراً
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من لهم
قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم
الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا
بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر
الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث** من وجوه الاعجاز
ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية
وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان جميع هذا كما قال
فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجاً فما مات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب
كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين
في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه الصلوة والسلام
زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك

امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعتد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحد والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفاً على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء
شيء من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية
وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف
اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية
وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب وقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين
وقد قال مبيناً ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
فلما نزلت بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اصحابه
بان الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفراً بمكة ينفرون
الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك
من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله

والاخبار

والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه الرابع**
ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع
الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار
اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه
صلى الله تعالى عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يشتغل
بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم
وقد كان اهل الكتاب كثيراً ما يسئلونه صلى الله تعالى عليه
وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف
واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه
واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التورية
والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه
العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك
فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا
فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له
وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل

سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن الطيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى
ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل الآية وغير ذلك
من امورهم التي نزل بها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه
من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته
وصدق مقاله واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران
وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي
على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين **فصل هذه الوجوه الاربعة**
من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم
انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم قال

ابو اسحق الزجاج
اتبعناه

اتبعناه زاد المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم وجيء بكتاب في كتف فلما رآه القاه وقال كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم
او كتابهم الى غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الآية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
هلك المتنطعون **وقال** ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به
الا عملته اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ **الباب**
الثاني في لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة
وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها
واستحقاقه صلى الله تعالى عليه وسلم لها اذ قرع تعالى من كان
ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله
فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم
انهم ممن ضل ولم يهده الله **حدثنا** ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال **حدثنا** سراج بن
عبد الله القاضي قال **حدثنا** ابو محمد الاصيلي قال **حدثنا** المروزي
قال **حدثنا** ابو عبد الله محمد بن يوسف قال **حدثنا** محمد بن
اسمعيل قال **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال **حدثنا** ابن علية

عن عبد العزيز بن صهيب عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده
ووالده والناس اجمعين وعن ابى هريرة رضى الله عنه نحوه
وعن انس رضى الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء من لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر
كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من كل شئ
الا نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر رضى الله
عنه والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين
فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر وقال سهل
من لم ير ولاية الرسول عليه الصلوة والسلام فى جميع احواله
ويرى نفسه فى ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث فصل فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف قال حدثنا ابو زيد المروزى
قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال
حدثنا عبدان قال حدثنا ابى قال حدثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابى الجعد عن انس رضى الله عنه ان رجلا اتى

النبى

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال
ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام
ولا صدقة ولكن احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة رضى الله عنه هاجرت الى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك
فناولنى يده فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب
روى هذا اللفظ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن
مسعود وابو موسى وانس وعن ابى ذر رضى الله عنهم بمعناه
وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد
حسن وحسين رضى الله عنهما فقال من احبنى واحب هذين
واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة وروى ان رجلا
اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الى
من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر عنك حتى اجئ فانظر اليك
وانى ذكرت موتى وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأها عليه
وفى حديث آخر كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر
اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابى وامى اتمتع بالنظر اليك
فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيلك فانزل الله تعالى الآية

وفي خبر انس رضي الله عنه ومن احبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد قال حدثنا
العذري قال حدثنا الرازي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا
ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة قال حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا
ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر رضي الله عنه وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم
عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد
بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر
من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه
النوم وعن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه
يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك
ونحوه عن عمر رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي
من اسلام الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن

وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها
وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان
والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء
البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس
الناس فرأى مصباحا في بيت فرأى عجوزا تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار   صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار   يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار   تعني النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طول وروي
ان ابن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس
اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال
رضي الله عنه نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا القى
الاحبة محمدا وحزبه ومثله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
وروي ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت
ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه
قال له ابو سفيان بن حرب انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا

لان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد
رضي الله عنه والله ما احب ان محمداً في مكانه الذي هو فيه مقيم
تصيبه شوكة وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت احداً
من الناس يحب احداً كحب اصحاب محمد محمداً عليه الصلوة والسلام
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم احلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بارض عن ارض وما خرجت الا حباً لله ورسوله ووقف
ابن عمر رضي الله عنهما على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله فيما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله
فصل في علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم ان من احب
شيئاً آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقاً في حبه وكان
مدعياً فالصادق في حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر
عليه علامات ذلك اولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب
بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو الحسن الصيرفي

وابو الفضل

وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال
حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا
ابو عيسى قال حدثنا مسلم بن حاتم قال حدثنا محمد بن عبد الله
الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
قال قال انس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يا بني ان قدرت ان تمسي وتصبح ليس في قلبك غش
لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي
فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض
هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئاً اكثر من ذكره
ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه
وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا
يرتجزون غداً نلقى الاحبة محمداً وصحبه وتقدم قول بلال
رضي الله عنه مثله ومثله ما قاله عمار حين قتل وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا **ومنها** محبته لمن احب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ومن هو بسببه من اهل بيته وصحابته
من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فان من احب شيئا احب من يحبه وقد قال
عليه الصلوة والسلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم
اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن رضي الله عنه فاحب من يحبه
وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها
انها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال لعائشة رضي الله
عنها في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان
حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر رضي الله
عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم **قال المؤلف رحمه الله** فبالحقيقة من احب شيئا
احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس رضي الله عنه انه رأى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم تتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء

منه ومن

من يومئذ وهذا الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر اتوا
سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجبه صلى الله تعالى
وكان ابن عمر رضي الله عنهما يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل امر
يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه قد قتلوا
احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله
رضي الله عنه ابن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني
اباه **ومنها** ان يحب القرآن الذي اتى به وهدى به واهتدى
وتخلق حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف
عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب
القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب
السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها
الا زادا او بلغة الى الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فانه كان يحب القرآن
فهو يحب الله ورسوله **ومن علامات** محبته للنبي صلى الله

تعالى عليه وسلم شفقته على امته ونصيحته لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بالمؤمنين رؤفاً رحيماً ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه الصلوة
والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان الفقر الى من يحبني
منكم اسرع من السيل من على الوادي او من الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رجل للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر
ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد
للفقر تجفافاً ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد رضي الله عنه بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك فليست ترجع بالحقيقة
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة
اتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال بعضهم محبة
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته
والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر
للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب
فيحب ما احب ويكره ما يكره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق

قوله

قوله وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات
المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة
الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له
او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف
بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من
امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له
من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس
على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا الى هذه الاسباب
كلها في حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه صلى الله تعالى عليه
وسلم جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل
فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم
ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به
من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً

ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم واى احسان اجل قدرا واعظم خطرا
من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال اعم منفعة واكثر
فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم
والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
انه صلى الله تعالى عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا
لما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه
مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة
مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم
ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى ما يحب واذا كان يحب
بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته
او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع
هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل
وقد قال على رضي الله عنه في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض
الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى
عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج

اذا نصحوا

اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقراءتي عليه قال حدثنا حسين بن محمد قال حدثنا يوسف
بن عبد الله قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا
ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود قال حدثنا احمد بن
يونس قال حدثنا زهير قال حدثنا سهيل بن صالح عن عطاء
بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له
وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء
الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذة من النصاح وهو
الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه
بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه
والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه

الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه في تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه كما قال ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حياً وميتاً واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحاً في حياته ونصحاً بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس له والاموال دونه كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته

والعزو

والعزوف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعريف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوماً فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امور دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره عليه الصلوة والسلام

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا

اصواتكم فوق صوت النبي الايات الثلاث وقال الله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فاوجب الله
تعزيره وتوقيره والزام اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس
رضي الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه
وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهوا عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام وهو قول ابن عباس
وغيره واختاره ثعلب وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا
قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في
ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به
والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي
والثوري ثم وعظهم الله وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني
في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضكم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه قال ابو محمد مكي
اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادونه
باسمه نداء بعضكم بعضاً ولكن عظموه ووقروه ونادوه
باشرف ما يحب ان ينادى به يا نبي الله يا رسول الله وهذا كقوله

في الاية

في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضاً على احد القولين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله عز وجل ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم
اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لاختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه
صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله
وخشي ان يحبط عمله ثم اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله تعالى
ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميداً
وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى
ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه
اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى

فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير
بني تميم نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال رضي الله
عنه بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له
اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال
بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة فنهي
المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة
في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا
القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي بسماعي عليهما
في الاخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا احمد بن
الحسن قال حدثنا محمد بن عيسى قال حدثنا ابراهيم بن سفيان
قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي
واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد قال حدثنا

حيوة

حيوة بن شريح قال حدثنا يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماس
المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه
عن عمرو وقال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا احلى في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ
عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما طقت لاني لم اكن
املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما
ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك
رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
حوله فكانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن
مسعود رضي الله عنه حين وجهته قريش عام القضية
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه
له عليه الصلوة والسلام ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا
وضوءه وكادوا ان يقتتلوا عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم
نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر
ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون

اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه
وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد عليه الصلوة والسلام
فى اصحابه وفى رواية انى رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم محمدا عليه الصلوة والسلام اصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه ابدا وعن انس رضى الله عنه لقد رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه وقد طاف به اصحابه
فما يريدون ان يقع شعرة الا فى يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان رضى الله عنه فى الطواف بالبيت حين وجهه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فى القضية ابى وقال
ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وفى حديث ابى طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفى حديث
قيلة رضى الله عنها فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفى حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب رضى الله
عنه لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عن الامر فاؤخر سنتين من هيبته فصل واعلم

ان حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتعظيمه وتوقيره
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل
بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبى واجب على كل مؤمن
متى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم او ذكر عنده ان يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ فى هيبته
واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله تعالى
عليه وسلم ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضى رحمه الله وهذه
كانت سيرة سلفنا الصالح حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن الاشعرى وابو القاسم بن بقى الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا انبأنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
قال حدثنا ابو الحسن على بن فهر قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد
بن المفرج قال حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال حدثنا
يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل حدثنا ابو حميد قال ناظر
ابو جعفر امير المؤمنين مالك فى مسجد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك
فى هذا المسجد فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبى الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون
اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات الآية وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل

القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة
ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به
فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير
انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى ارحمه
فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوماً في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم
على ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء
لا نكاد نسئله عن حديث ابداً الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت
ارى جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رأيته
يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة
ولقد اختلفت اليه زماناً فما كنت اراه الا على ثلاث خصال
اما مصلياً واما صامتاً واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر

الى لونه

الى لونه كانه نزف منه الدم ولقد جف لسانه في فمه هيبة
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد كنت اتى صفوان بن
سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه
ويتركوه ولقد رأيت الزهري وكان من اهنأ الناس واقربهم
اذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه
العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت
مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى آخره وحرمته حياً وميتاً
سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وتأول انه يجب له
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل في سيرة السلف في تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ قال حدثنا ابو الفضل بن
خيرون قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره قال حدثنا

ابو الحسن الدارقطني قال حدثنا ابو علي بن مبشر قال حدثنا
احمد بن سنان القطان قال حدثنا يزيد بن هارون قال
حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال
اختلفت الى ابن مسعود رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه حدث يوماً
فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم علاه كرب فرأيت العرق يتحدر ثم قال هكذا ان شاء الله
او فوق ذا او ما دون ذا او قريب من ذا وفي رواية فتربد
وجهه وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال
ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة
مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعاً اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم وقال مالك
جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون
يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى
وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء
اجلالاً له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال

مصعب

مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال مطرف كان اذا اتى الناس
مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل
خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمم ووضع
على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج للناس ويجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن اويس فقيل لمالك في ذلك
فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره
ان يحدث في الطريق او هو قائم او مستعجل وقال احب
ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء
ونحوه عن قتادة بن النعمان وكان الاعمش اذا احب ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة
وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا

فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ
من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك
الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني
اجل من ان تسألني عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له ان ذلك قاض فقال القاضي
احق من ادب وذكر ان هشام بن القاضي سئل مالكا عن حديث
وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه
عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ
احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث
الا على طهارة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على غير
وضوء يتيمم فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره
بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم وسلكه السلف الصالح قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد

العدل من كتابه وكتبت من اصله قال حدثنا ابو الحسن المقري
الفرغاني قال حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف
قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى
هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني قال حدثنا وكيع
عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد
بن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انشدكم بالله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته
قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه الصلوة
والسلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز
على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب وقال بعض
العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه
وعن عمرو بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة رضي الله عنها دعا صلى الله
تعالى عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي
خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه
لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا
وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء اهلي

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه
لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله
ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
رضي الله عنه اغد علي بابنيك مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار
كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن رضي الله عنهما ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما **وقال** ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمداً
في اهل بيته وقال ايضاً والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم احب الله من احب حسناً وقال وحسيناً **رواية**
من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيمة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشاً اهانه الله
وقال قدموا قريشاً ولا تقدموها وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لام سلمة لا تؤذيني في عائشة **وعن** عقبة بن الحارث
رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بابي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي
وعلي رضي الله عنه يضحك **وعن** عبد الله بن حسن بن حسين
قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك

حاجة

115 حاجة فارسل الي او اكتب الي فاني استحيي من الله ان اراك
على بابي **وعن** الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه
ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما
فاخذ بركابه فقال زيد لابن عباس خل عنه يا ابن عم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا يفعل بالعلماء فقبل زيد
بن عباس فقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم **ورأى** ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن اسامة بن
زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ
ابن عمر رضي الله عنهما رأسه ونقر بيده الارض وقال ابن عمر
رضي الله عنهما لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه
وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز فاتته ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل
يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على
مجلسه وجلس بين يديها وترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه في ثلاثة
آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله
لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيداً
كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك فاسامة
احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم على حبي **وبلغ** معاوية رضي الله عنه ان كابس بن ربيعة

يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما دخل عليه من باب
الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى
ان مالكا لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا
عليه دخل عليه الناس فلما افاق فقال اشهدكم انى جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال انى خفت ان اموت فالقى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيى منه ان يدخل بعض آله النار
بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل
لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر بن
عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلى رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي
رضي الله عنه قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة
فقال اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية
فاسجدوا واى آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن
مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي

لقرباه
صح

وفدت

١١٦

وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك
فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل
من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات والمخارج
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد
منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا
القاضي ابو علي قال حدثنا ابو الحسين وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد
بن محبوب قال حدثنا الترمذي قال حدثنا الحسن بن الصباح
قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن
عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي

ابو بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضاً بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق
احدكم مثل احد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر رضي الله عنه ان الله اختار اصحابي
على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي
كلهم خير وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره
من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق
ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظ
اصحاب محمد عليه الصلوة والسلام فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين

ومن

ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن احب علياً فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد بريء
من النفاق ومن انتقص احداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة
والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى
يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً وفي حديث خالد بن سعيد
رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض
عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غداً وقال رجل للمعافى بن عمران
اين عمر بن العزيز من معاوية رضي الله عنه فغضب وقال
لا يقاس باصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم احد معاوية
صاحبه عليه الصلوة والسلام وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله
اتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فانا ابغضه وقال صلى الله تعالى عليه فابغضه الله صح
وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم
حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه

ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظاً يوم القيمة وقال
من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي
لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك هذا النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وقال كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
الا وله شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل رضي الله
عنه ان يشفع له يوم القيمة وقال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل
ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده
وامكنته من مكة الى المدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة
والسلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها
اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله تعالى عليه
وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة من قتل فيها

فقال

فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله
تعالى عليه وسلم لئلا تسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
وروي ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده على مقعد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول اذا سئل
استحيي من الله تعالى ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بحافر دابة وروي عنه انه وهب للشافعي
كراعاً كثيراً كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة
فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الرماة الغزاة قال
ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك
فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وامر
بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن
فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة
وفي الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المدينة من احدث
فيها حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وحكي ان جهجاه
الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يد
عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس
فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف على منبري كاذباً
فليتبوأ مقعده من النار وحدث انا بالفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا
ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام
قربتنا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشياً فقيل في ذلك فقال العبد
الآبق لا يأتي الى بيت مولاه راكباً لو قدرت ان امشي على رأسي
ما مشيت على قدمي قال القاضي رحمه الله وجدير لمواطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض

عبابها

عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس
جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها
وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري ... من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ... ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله وملائكته
يباركون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان الله يترحم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته يدعون له قال المبرد الصلوة
الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء الرحمة
من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس
ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال
ابو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف

وزيادة مكرمة وقال ابو العالية صلاة الله عليه ثناؤه عليه
عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء له وقال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده
فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه
ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلاثة اوجه احدها السلامة لك
ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني
اي السلام مداوم على حفظك ورعايتك ومتول له وكفيل به
ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فصل واعلم ان الصلاة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فرض في الجملة غير محدد بوقت
لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له
على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري
ان محمل هذه الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج

ومأثم

ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك
فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعائر اهله
وقال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي به
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر
بن بكير افترض الله عز وجل على خلقه ان يصلوا على نبيه
ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها وقال القاضي ابو محمد بن
نصر المالكي الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة
في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيره من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة
وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه
وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله تعالى به
ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو في الصلاة وقالوا
واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة
فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع
جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ
الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة

وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول
ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية
في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل
الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة
وان تاركها في التشهد الاخير مسيء وشذ الشافعي فاوجب
على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن
المواز ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة
قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد
بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
وقد حكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة
اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد خالف
الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي في هذه المسئلة قال
الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست

من فرض

١٢١

من فرض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس في هذه المسئلة جداً وهذا
تشهد ابن مسعود رضي الله عنه الذي اختاره الشافعي وهو
الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس
وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر
رضي الله عنهما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد
رضي الله عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما كان ابو بكر يعلمنا
التشهد على المنبر وعلمه ايضاً على المنبر عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وفي الحديث لا صلاة لمن لا يصلي علي قال
ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث
ابي جعفر عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها ولا اهل بيتي
لم يقبل منه وقال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر
محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم

فصل في مواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
ابو علي بقراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي قال
حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم
بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان قال
حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال حدثنا حيوة بن شريح
قال حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه
ثم ليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليدع بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق بين
السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بمعناه وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروى عن
ابن مسعود رضي الله عنه ان الدعاء محجوب حتى يصلي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه

اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه
بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يسأل
فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرب شربه
او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء
واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة
واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الاسباب واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا
يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلاة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنهما
الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم يبدأ
بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول اللهم اني
اسئلك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن
الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكره وسماع
اسمه او كتابته او عند الاذان وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم

وعم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلاة عليه عند التعجب وقال سحنون لا يصلي عليه الا على
طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ في قول
عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله قال ولو قال بعد
ذكر الله وصلى الله على محمد رسول الله لم يكن تسمية له مع الله
وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وعلى آله وان يترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله
ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع
رحمتك فضلك قال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم الآية قال ان لم يكن في البيت احد
فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالبيوت هنا

المساجد

المساجد وقال النخعي ان لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد او خرج ولم يذكر
الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره لحديث فاطمة بنت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم
يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم
وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث في آخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطنها الصلاة على الجنائز
وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطنها الصلاة
التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها الصلاة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله في الرسائل وما يكتب بعد
البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث بعد ولاية
بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به
ايضا الكتب وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي
في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر الله له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم
تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى
الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا
ابو الهيثم قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن

اسمعيل قال حدثنا ابو نعيم قال حدثنا الاعمش عن شقيق
بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض
هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وروى
مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول ذلك اذا فرغ
من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان
يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال
مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم فصل
في كيفية الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم
عليه حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ قال حدثنا ابو عبد الله بن

سنيته
صح

عتاب

١٢٦

عتاب قال حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره قال حدثنا ابو عيسى
قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك
عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم
الزرقي قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابن مسعود الانصاري رضي الله
عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل
ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن
عجرة رضي الله عنه اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو رضي الله
عنه في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد
وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه حدثنا القاضي
ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون
الفقيه قال حدثنا ابو بكر المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله
الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي

عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن
الخالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين
عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن في يدي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عدهن في يدي
جبريل وقال هكذا من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد
وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم
على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل
البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات
المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري رضي الله عنه
سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال
صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ
المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق الدامغ لجيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزاً
في مرضاتك بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم واعياً
لوحيك حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ امرك
حتى اورى قبساً لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وانهج
موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق
رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير
من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه ايضاً في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليماً لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله

البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين
صل على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن ابن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب
بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة
والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن
الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل

ماسألك

ماسألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد
من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر من تطويل
الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله
والسلام كما قد علمتم هو ما علمتم في التشهد من قول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله تعالى عنه
السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام
على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته
واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا

وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالغفران وفي حديث الصلاة
عليه عنه ايضاً قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره
من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمرو
بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به
ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد سنح ابو محمد بن ابي زيد
في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحم
محمداً وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم
ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجة قوله في السلام السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل** في فضيلة الصلوة
عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له
حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قال **حدثنا**
القاضي يونس بن مغيث قال **حدثنا** ابو بكر بن معاوية قال
حدثنا النسائي قال **حدثنا** سويد بن نصر قال **انبأنا** عبد الله
عن حيوة بن شريح قال **اخبرني** كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً

ثم سلوا

ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي لاحد
من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة له
حلت عليه الشفاعة **وروى** انس بن مالك رضي الله عنه
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشراً
ورفعه عشر درجات **وفي رواية** عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت
جبريل فقال لي ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة
رضي الله عنه ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن
ابي طلحة **وعن** زيد بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي **وروى**
ابن مسعود رضي الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم
علي صلاة **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي

فليقلل من ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل
قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب رضي الله عنه
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي
قال ما شئت قال الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك
قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال
النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثان
قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال يا رسول الله اجعل
صلاتي كلها لك قال اذا يكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة
رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت
من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني
وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله بعثني
اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله
عليه وملائكته بها عشراً وعن جابر بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمداً
الوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة وابعثه مقاماً
محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة وعن سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع الاذان انا اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله

رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالاسلام ديناً غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي
عشراً فكانما اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام
لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر
رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امحى
للذنوب من الماء البارد من النار والسلام عليه افضل من عتق
الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال
حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا
حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب
قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي
قال حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن
سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ
قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد
المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسأله معاذ رضي الله عنه عن ذلك فقال ان جبريل اتاني

فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات دخل
النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال من ادرك
رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابواه
او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي رضي الله عنه عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم البخيل الذي اذا ذكرت عنده فلم يصل علي
وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا
قبل ان يذكروا الله ويصلوا علي كانت عليهم من الله ترة
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة
وعن قتادة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلم يصل علي وعن جابر
رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم الا تفرقوا عن انتن من رائحة الجيفة وعن ابي
سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم

الا كان حسرة عليهم وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب
وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى
الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ
عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه الصلوة
والسلام بتبليغ من صلى عليه صلاة او سلم من الانام
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد قال
حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا
ابن داسة قال حدثنا ابو داود قال حدثنا ابن عوف قال حدثنا
المقرئ قال حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد
بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
بلغته وعن ابي مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة
رضي الله عنه وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية
فان احدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها
وعن الحسن رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس

رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
يسلم ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه **وعن** الحسن
بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث كنتم
فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم **وفي حديث** اوس رضي الله عنه
اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي **وعن** سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في المنام فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم واردّ عليهم **وعن** ابن شهاب
بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اكثروا
من الصلاة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر فانهما
يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم
يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه يقول
ان فلاناً يقول لك كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلوة
على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم
الصلوة والسلام **قال القاضي** رحمه الله عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلوة
على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي

الصلوة على احد الا للنبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي
ووجدت بخط بعض شيوخي شيخ مذهب مالك انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط
ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به وقال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة
على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر رضي الله
عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وآله ووجدت معلقاً
عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
وبه نقول ولم تكن تستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم
كما بعثني والاسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما لينة والصلوة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال الله تعالى خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية
وقال الله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان

اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث
الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي حديث آخر
وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط
والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين
حرمت عليهم الصدقة **وفي رواية** انس رضي الله عنه سئل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجئ
على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول
في صلاته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة
على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد اوتي
مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود **وفي حديث**
ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته **وفي حديث** ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يصلي
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
ذكره مالك في الموطأ من رواية ابن يحيى الاندلسي والصحيح
رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما **وروى**
ابن وهب عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار
الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار **قال المؤلف**
والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره غير واحد من
الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه
فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر
الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله
تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم
من الائمة وغيرهم بالغفران والرضاء كما قال الله تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى
والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا
فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران
وانما احدثه الرافضة والشيعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه
فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل
والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم على من صلى عليه كما تقدم مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
وليس فيها معنى التعظيم والتوقير وقالوا وقد قال الله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفة لدعاء الناس بعضهم لبعض

وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرائيني من شيوخنا وبه
قال ابو عمر بن عبد البر **فصل** في حكم زيارة قبره صلى الله تعالى
عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو له
وزيارة قبره سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها **حدثنا** القاضي ابو علي قال **حدثنا** ابو الفضل بن خيرون
قال **حدثنا** الحسين قال **حدثنا** ابو الحسين قال **حدثنا** القاضي
المحاملي قال **حدثنا** محمد بن عبد الرزاق قال **حدثنا** موسى بن
هلال **عن** عبد الله **عن** ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة **وفي حديث آخر** من زارني بعد
موتي فكانما زارني في حياتي **وكره** مالك ان يقول زرنا قبر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في معنى ذلك فقيل
كراهة للاسم لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها ولا تقولوا هجرا وقوله من زار قبري فقد اطلق
اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس
عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ في حقه تعالى **وقال** ابو عمران انما كره مالك ان يقال

طواف

طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان خص
بان يقال سلمنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا فان
الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله
تعالى عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتأكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له الاضافة
الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه
بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله تعالى اعلم
قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور
بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي استند
اليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده
من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله **وقال**
ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من
وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية
ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ثم قال صلى الله

عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم اسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاقرءه مني السلام وقال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام
قال بعضهم رأيت انس بن مالك رضي الله عنه اتى قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ودعى يقف ووجهه الى القبر
لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ابن ابي مليكة من احب
ان يكون وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر
رضي الله عنهما يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر يأتي
الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام
على ابي ثم ينصرف ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن
قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا دخلوا المسجد حبسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم

ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى
الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم
القعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن
وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال
القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله
عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن
عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل المسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله
عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي
ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر
تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه
وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة
افضل وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني
بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من
الصلوة في مسجد النبي عليه السلام بالليل والنهار

ولا تدع ان يأتي مسجد قباء وقبور الشهداء وقال مالك
في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل
اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى
وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرجت فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية
اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني
اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد
صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة قالت ايضا
كان النبي عليه السلام اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم
افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة

اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم فليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم
من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر
وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا
عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح
اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول
هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره
الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأى قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمين
بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه
السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر

لا يصلق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى
العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله
عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبى
صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما فى الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الى
من التنفل فى البيوت   فصل فيما يلزم من دخل
مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى
ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة
وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق
ان تقوم فيه   وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا وهو قول ابن
المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس
وغيرهم   وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه
مسجد قبا حدثنا هشام ابن احمد الفقيه بقراءتى
عليه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر
النمرى حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
بن داسه حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا
سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال
الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدى هذا

والمسجد الاقصى وقد قدمنا الاثار فى الصلوة والسلام
على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال
مالك سمع عمر بن الخطاب صوتا فى المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت
قال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد برفع
الصوت ولا بشئ من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضى
حكى كله القاضى اسمعيل فى مبسوطه فى باب فضل
مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم   قال القاضى اسمعيل
وقال محمد بن مسلمه ويكره فى مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم
وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا
وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلوة فى
مسجدى هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد
الحرام   قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس
فى معنى هذا الاستثناء على اختلافهم فى المفاضلة

بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه
قاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلوة في المسجدي الرسول افضل من الصلوة في سائر
المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه
بدون الف واحتجوا روى عن عمر بن الخطاب صلاة
في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره
بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب
اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن
وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في حديث المتقدم على
ظاهره وان الصلوة في مسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاه في مسجد الحرام
افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلات وروى
قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على
هذا على الصلوة في سائر المساجد مائة الف ولا خلاف
ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض
قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث

مخالفة

حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة
وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة
الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في
النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير
من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله
عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما وزاد منبري
على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روى ما بينيه بين حجرتي ومنبري
والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في
هذا الحديث كما روى بين قبري ومنبري قال الطبري
واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم بينها
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله صلى الله
عليه وسلم منبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو الظاهر والثاني ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي وقوله صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلو

فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى
فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى وروى ابن عمر
وجماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة قال لا يصبر على
لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا
يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تحمل عن المدينة
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه
وسلم انما المدينة كالكير تنفى خبثها ويصنع طيبها وقال
صلى الله عليه وسلم لا يخرج احد من المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله تعالى خيرا منه وروى عنه صلى الله
عليه وسلم من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا
بعثه الله تعالى يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وفى طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن
عمر رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة
الى قوله تعالى امنا قال بعض المفسرين امنا من النار
وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا والجاء اليه
فى الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوسعدون

الخولانى بالمنستير واعلموه ان كامه قتلوا رجلا واضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن
فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من
حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن
حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا
بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفى الحديث
عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن
الاسود الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب
وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الأمنين قال القاضى ابو الفضل قرأت على القاضى
الحافظ وابو على رحمه الله حدثك ابو العباس العذرى
قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى
حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن
دينار قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعى
احد بشئ فى هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت

هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب
لى وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب
لى وقال الحميدى وانا فما دعوت الله بشئ هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى وقال
محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال ابو الحسن
محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم
مذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال
ابو اسامة وما ذكر الحسن بن رشيق فال فيه شيئا وانا
فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم مذ سمعت هذا
من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا وانا
ارجوا ان يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم مذ سمعت هذا
من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا فقد
دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها
وارجوا من سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها قال القاضى
ابو الفضل قد ذكرنا نبذا من هذه النكت فى هذا الفصل
وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا
على تمام الفائدة والله الموفق للصواب القسم الثالث
فيما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم وما يستحيل ويجوز

عليه

عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف
اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افاين مات او قتل الاية وقال تعالى
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام ويمشون
فى الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الى الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك
لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
وقال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى
لما كان الا فى صورة البشر الذين تمكنهم مخالطتهم اذ لا
تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان
على صورته وقال تعالى قل لو كان فى الارض ملئكة
يمشون مطمئنين الاية اى لا يمكن فى سنة الله تعالى
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
فالانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وسائط
بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف

البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملاء الاعلى متشبهة بصفة الملئكة سليمة من التغير
والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية والاضعف
الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملئكة
وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا
اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة
الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح و
البواطن مع الملئكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة
الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى اظل
يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن الافات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة
لن تكتفى بمضمونها كل همة ذى بل الاكثر يحتاج الى
بسط وتفصيل على ما تأتى به بعد هذا فى البابين
بعون الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل الباب

الاول

١٣٦

الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة
نبينا عليه الصلوة والسلام وسائر الانبياء عليهم
السلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى اعلم
ان الطوارئ من التغييرات والافات على احاد البشر
لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد
واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار
وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله
الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح
وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغييرات بالاختيار
وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها والنبى صلى الله
عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز
على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت
كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير
من الافات التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما تأتى به من التفاصيل

فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم
من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما
تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته و
الايمان به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم
واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك او الشك
او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك

واليقين هذا ماوقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحة ان يكون فى عقود الانبياء عليهم
الصلوة والسلام سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم
عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابرهيم
عليه السلام فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن
اراد طمانينة القلب وترك المنازعات بمشاهدة الاحياء
فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى
بكيفيته وبمشاهدته الوجه الثانى ان ابرهيم
عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه
وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله
تعالى اولم تؤمن اى الم تصدق بمنزلتك منى وخلتك
واصطفائك الوجه الثالث ان ابرهيم عليه السلام
سئل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن فى الاول
شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
فى قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع
ومجوز فى النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر
الى المشاهدة والترقى من علم اليقين عين الى اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهيل بن عبد الله
سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
فى حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه
يحيى ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا

الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب
المراد اقدرنى على احياء الموتى قوله ليطمئن قلبى عن هذه
الامنية الوجه السادس انه راى من نفسه الشك وما
شك ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفى لان يكون ابرهيم
عليه السلام شك وابعاد الخواطر الضعيفة ان
تظن بابرهيم عليه السلام اى نحن موقنون بالبعث
واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم عليه السلام لكنا
اولى بالشك منه اما على طريق الادب وان يريد امته
الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق
وان حملت قصة ابرهيم عليه السلام على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبتك الله قبلك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن
عباس وغيره من اثبات شك للنبى صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير و
الحسن وحكى قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا

فى معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك
الاية قال وفى السورة نفسها ما دل على هذا التاويل
قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم فى سك من دينى
الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبى صلى الله
عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك فى مرية مما يعبد
هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلا الا تراه يقول
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه
وسلم كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن
يكذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل
هذه الاية قوله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا المامور هنا
غير النبى صلى الله عليه وسلم ليسئل النبى صلى الله عليه
وسلم هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل وقال ان
هذا الشك الذى امر غير النبى صلى الله عليه وسلم بسؤال
الذين يقرون الكتاب انما هو ما قصه الله تعالى من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريفة وهذا
مثل قوله تعالى واسئل [illegible] قبلك من رسلنا الاية المراد
به المشركون والخطاب مواجهة للنبى صلى الله عليه
وسلم قاله القتبى وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك
فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتداء اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون على طريق الانكار اى ما جعلنا

حكاه مكى

حكاه مكى وقيل امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبيا عليهم السلام ليلة الاسرا
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى انه قال لا اسئل
لا اشك قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سئل امم من ارسلنا هل جاؤهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة رضى الله تعالى عنهم
اجمعين والمراد بهذا والذى قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن
فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر من اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل
لمن امترى يا محمد فى ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله
ابتغى حكما الاية وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل
هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فسئل تزدد طمانية وعلما الى
علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسئلهم
عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وحكى عن ابى عبيدة ان المراد ان
كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى فى ذلك ما
قالته عايشة رضى الله تعالى عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد على
الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل عليهم السلام وهو قول ابن عباس والنخعى

وابن جبير وجماعة من العلماء رض وبهذا المعنى قرأه مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبيا وكذلك ما ورد
فى حديث السيرة ومبتدا الوحى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله
تعالى لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى بعد رؤية الملك
ولكن لعله خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه او
او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح انه قال بعد لقائه الملك او يكون ذلك
قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبداية المنامات والتباشير كما روى فى بعض طرق هذا
الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى فى اليقظة مثل هذا تانيسا له
صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة ويحتمله لاول حالة
بنية البشرية وفى الصحيح عن عائشة رض اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق
وهو فى غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مكث النبى صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ
وذكر نحو حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك
السورة قال فانصرف عنى وهببت من نومى كانما صورت فى قلبى ولم يكن
ابغض الى من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عنى قريش بهذا ابدا لاعمدن
الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسى منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت
مناديا ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبرئيل عليهما السلام فرفعت

راسى فاذا جبرئيل عليه السلام على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين فى هذا ان
قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبرئيل عليه السلام وقبل اعلام
الله تعالى له بالنبوة واظهاره واصطفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها
انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر
ومن رواية حماد بن سلمة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى
عنها انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتأول
لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد منه شاعر او مجنون والفاظ يفهم
منها معانى الشك فى تصحيح ما رآه وانه كان كله فى ابتداء امره وقبل لقاء
الملك له واعلام الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح
طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن
اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضى الله تعالى عنها اوجه اليك من
يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل عليه السلام
بكشف رأسها الحديث انما ذلك فى حق خديجة رضى الله تعالى عنها لتحقق صحة
نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذى يأتيه ملك ويزول الشك عنها
لا انها فعلت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد
فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
رضى الله تعالى عنها ان ورقة امر خديجة رضى الله تعالى عنها ان تختبر الامر بذلك
وفى حديث اسمعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبرئيل
عليه السلام اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به
فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا
غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر
عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع
انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب
من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا ايها المزمل
يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من
ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا
فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول
الله تعالى في يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن
ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالشدة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ
نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه

افظن

افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه
لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما رضي الله عنهما لا لربه اذ مغاضبة الله
تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء
عليهم السلام وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما
ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه لما امره الله
تعالى به على لسان نبي آخر عليهم السلام فقال له يونس عليه السلام غيري اقوى عليه
مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
ان ارسال يونس ونبوته عليه السلام انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الآية بقوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه ويستدل ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة
ثم قال تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته
فان قيل فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
تعالى كل يوم مائة مرة وفي طريق آخر في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر
ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى الله
تعالى عليه وسلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قال ابو عبيد
واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء
يتغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء
فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة
او اكثر من سبعين مرة في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو
اكثر الروايات وانما هذا عدد الاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا

الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة
الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله تعالى عليه وسلم دُفع اليه من مقاساة
البشر وسياسة الامة ومعانات الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس
وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانةً واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى صلى الله تعالى عليه وسلم
حال فترته عنها وشغله بسواها غضًا من علي حاله وخفضًا من رفيع مقامه فاستغفر الله
من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنا ما اشرنا به مال كثير من
الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما
سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملةً واجله ان يجوز عليه في حال مره سهوًا او فترةً
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى الله تعالى عليه وسلم
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا
على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
صلى الله تعالى عليه وسلم عندها اظهارًا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذٍ شكرًا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة
افلا اكون عبدًا شكورًا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحتمل ما روى في بعض طرق

هذا

١٢٦

هذا الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين
مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام — وقد قال الله تعالى
فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله تعالى وان وعدك الحق اذ فيه
اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام
والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال
اني اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن
الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسأل عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب
الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله تعالى
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الآية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن
كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء عليهم السلام منه بعد النبوة
قطعًا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من
ذلك فما معنى اذًا وعيد الله لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ان فعله

وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله تعالى ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله تعالى اذاً لاذقناك ضعف
الحياة الآية وقوله تعالى لاخذنا منه باليمين وقوله تعالى وان تطع اكثر من
في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك
وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فاعلم وفقنا الله تعالى واياك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح
ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان لا يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول
على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل ويختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن
يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك
من الناس كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد
بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله تعالى تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله تعالى
اذاً لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت
ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
فالمراد غيره كما قال تعالى ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله تعالى فان يشأ الله
يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد ان هذه حال
من اشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله
ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء
كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام
ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة

فللناس

فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله
تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار
عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا
ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان تنفر القلوب عمن كانت
هذه سبيله وانا اقول ان قريشاً قد رمت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل
ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه
او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته
وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع
واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من
قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان
لنقل وما سكتوا كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله
واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين
بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق

قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه
حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية
وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى
عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم
وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال الله تعالى
اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله تعالى لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى
الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت
فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون
الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
ذلك ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد
ابوالا وما كان قبل ذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى

فليس

فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا
عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان
صلى الله تعالى عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى
هداه الله الى الاسلام وقال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك
اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي ابن عيسى قال ابن عباس
لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا
وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك
بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال
ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي
ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا
ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله
وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان
وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين اي
من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه
من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال
تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ماكنت تدري قبل الوحي ان تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم تكن تدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف تقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جداً وقال هذا حديث موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده ولا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الاصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك

بغضهما وكذلك المعروف من سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء عليهم السلام في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علماً ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء عليهم السلام العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها واعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلوم ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي عليه السلام الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه

فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه
الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت
الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما
هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه شيء فيه ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه فاما ما لم
يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله
شيئا حتى استقر عليه جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك
ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر
علم جميعها عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته
الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه
فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله

اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وقول موسى عليه السلام للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت
رشدا وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم
وقوله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم
الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم
عقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية
فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي
الحافظ ابو علي رحمه الله قال نا ابو الفضل بن خيرون العدل نا ابو بكر البرقاني
وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف
نا سفيان عن منصور عن سالم ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد الا
وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني الا
بخير وعن عائشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام
فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله تعالى عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل
احد من بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد
جاءت الآثار بتصدي الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه

وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته
فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففي الصحيح قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر
فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه
وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره
بصورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة
ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره
وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيسى عليه السلام وكفي من لمسه فجاء ليطعن
بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال
انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية قال بعض
المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال تعالى واما

ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله
وقيل هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ
منه ليكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض
له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا
بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله
تعالى له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان
قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا
اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية
اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان في تلاوته او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله اياته وسياتي
الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان
مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد

هو الولد الذي وُلد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله تعالى
انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان
الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله
وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا
واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى
كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فليقاتله فانما هو
شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه فانه لم يثبت
له في ذلك الوقت نبوة موسى عليه السلام قال الله واذ قال موسى لفتاه
والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبل موته وقول موسى
كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته
وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما اي
الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي
انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا
من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما
هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا
واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلط

عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال
الموكل بكلاءة صلوة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن
اسلم فلا اعتراض له في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل
واما اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
بشيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا
وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل
عند الاستاد ابي اسحاق الاسفرائني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع
فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا من
مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
منهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد
على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه الله اليه من وحيه لا على
وجه العمد ولا على غير العمد ولا في حال الرضا والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك
قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله

الا حقا ولئن ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت
المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان
المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله
اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله
ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها
ما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرأيتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى ويروى لترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق
العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات
ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان تمنى
لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال ما جئتك بهاتين الآيتين فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله
وان كادوا ليفتنونك الآية **فاعلم** اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل

هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء
المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته
فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت
عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث
نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه
من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر
الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد ابن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه
لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع
الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي

مما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله
تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم بمكة فسجد
معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما
من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح
آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن
حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن
ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله تعالى
عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
وسهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله
تعالى عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه ولسانه لا عمدا ولا سهوا او
ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان
عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد
قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا
وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم
ولما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح
حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب

والجهلة

والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة وارتداد
من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا
مكابرة في قصة الاسرى حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا
تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند
فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا
شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض
مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه
القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه حتى
يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان
الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن
عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لم يكن قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب

بالابصار ولم يذهب واكادا اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان تقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان
به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقد ذكر في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد
سخفها فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته
مما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك
أئمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة عند قراءة هذه السورة فجرى هذا
الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه
في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي حديث الكلبي
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك
قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول
ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا
بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن
مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره

القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام
قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين
على تسليمه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا
ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك
على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين
لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين ويكون ما روي
من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه
الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية
فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس ويحكم آياته وقيل معنى
الآية هو ما يقع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك
ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القرآن انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية
او كلمة ولكنه لا يقر على هذا بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم
ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى
هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان

قرآناً والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية
وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون ان
والاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله تعالى كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى
الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان
بهم سبيلاً الى التلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في
انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء
وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قراء هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومنات الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا
الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون ونسب هذه الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه
واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله
فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ
القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله

نقط

١٥٤

تعالى من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذاباً ابداً فذهب مغاضباً فاعلم اكرمك الله ان
ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال
لهم ان الله مهلككم وانما فيه دعاء عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه
وكذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك
كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا
دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى الثوب العريان فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركاً
فصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمداً حيث اريد كان يملي علي
عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول كل صواب وفي حديث آخر فيقول النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
اكتب عليماً حليماً فيقول اكتب سميعاً بصيراً فيقول له اكتب كيف شئت
وفي الصحيح عن انس ان نصرانياً كان يكتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اسلم
ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل علينا سبيلاً ان مثل هذه
الحكاية اولاً لا توقع في قلب مؤمن ريباً اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن
لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو
اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بهذه الحكاية سره وقد صدرت من

عدو كان مبغض للدين مفتر على الله ورسله ولم يرد على احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع
من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله
حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك ورواه حميد عن انس قال اظن حميدا
انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ولهذا والله اعلم
ولم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت وحميد والصحيح حديث عبد العزيز بن
رفيع عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد
النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا
طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه بكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول
لها اذ كان مما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة
الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته مما يتفق ذلك للعارف
اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من
مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فذكرها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

١٦٥

ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع
قرا بهما معا الجمهور وثبتت في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف
ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك
كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده
تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف
مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا فانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي
حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم
عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع
احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت
وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين
اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتج عليه عمر
بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي
كانت هزيلة من ابي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان

اخباره وسيره وشمائله معتني مستقصي تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
صلى الله تعالى عليه وسلم لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو
كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله تعالى عليه وسلم رجوعه عن اشارة
على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا
منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر وسنبين كل ما في
هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها
وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف
ما هو على اي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله
في النفوس موقعه ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد
الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة
وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشنع
ومما يخل بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة
البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتجويز من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه ومناقض للمعجزة فليقطع عن
يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا
بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال

السهو

السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا
به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب
ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن
الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن
الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت
الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكونا وقد كان احد ذلك كما
قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله
واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان
في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن وهو

صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنّه لمن اعتراه مثله وهذا القول مرغوب عنه نذكره
في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما
ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده في ضميره اما انكاره القصر فحق وصدق باطنا
وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه
لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صادق
ايضا ووجه ثان ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهذا ابعدها ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان
بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة
وهو ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل
من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها
قال القاضي ابو الفضل رض والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من
هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه
وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى
ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها
كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وان ان كان جرى شيء من
ذلك فقد نسي حتى سئل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن

فقوله

فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم
ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك
انه قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى
عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو
شغل قال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل وكان
يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا
ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك
الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاركان الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء
نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح
اني لا انسى او انسى لاسنّ واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة
في الحديث انها كذبات الثلثة المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله
اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم
اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره
وهي داخلة في باب معاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما
قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم ان كل مخلوق معرض
لذلك فاعتذر لقومه عن الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدّر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه
اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل
بل عرّض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي

كانوا يشتغلون بها وانه اساء نظره فى ذلك ثم قيل استقامة حجته عليهم
فى حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولاضعف ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلوم حتى الهمه الله باستدلاله
وصحة حجته عليهم بالكواكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد مضى بيانه واما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صادق ايضا ولا خلف فيه
واما قوله اختى فقد بين فى الحديث وقال فانك اختى فى الاسلام وهو
صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبى صلى الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلث
كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام
صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من مؤاخذة
بها واما الحديث كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى
بغيرها فليس فيه خلف فى القول انما ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره
وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انباء الله تعالى انه ليس كذلك ثم اعلم انه وقع فى هذا الحديث
فى بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان

جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر
فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء يقتضى
ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف
فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور آخر مما لا
يعلمه احدا الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى خبرهما
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل
عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله تعالى عليه ذلك فيما قال العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا
الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى
به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه
من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى
وان تنزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا
من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله
تعالى عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى
ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف
وبقوله ما فعلته عن امرى فدل على انه بوحى ومن قال انه ليس بنبى قال
يحتمل ان يكون فعله بامر نبى آخر وهذا ضعيف لانه ما علمنا انه كان فى زمن
موسى عليه السلام نبى غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار
فى ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص

وفيه قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر عليه السلام ولهذا قال بعض
الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى عليه السلام الى الخضر للتاديب
لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال فلا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما
عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي
ذكرناه وهو مذهب القاضي ابو بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو
قول الكافة فاختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة
مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك
من قبل الله معصومون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة
لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت
طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر
كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من
الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة
وانه انما سمي الصغير منها بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي
امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال

في معاصي

في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر اذا لم يتب منها
فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو الى الله وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة
الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين
ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر
ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم منه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم
المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا
وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم
واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وهو قول اكثر
العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما
كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله
لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس
كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز

الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر
على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى
هذا المأخذ يجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر والندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من
دين الصحابة قطعا الاقتداء بفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت
وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس واحتج غير واحد في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتها اني اقبل
وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع
اتباعهم افعاله واقتدائهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق
هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر صلى الله تعالى عليه وسلم على الآخر
قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها
قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم
بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الآخرة فلا يأخذون من
المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم

وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه
في اول الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبان لك عظيم
فضل الله على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان
جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية
فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها
آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل
ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي
انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين لهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل
وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه
وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخرت به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت
طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف
تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف
في امره صلى الله تعالى عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل
الوجهين منهما العقل ولا استبان عنده في احدهما طريق النقل وهو مذهب

ابو المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملاً بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين
ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمّم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه
المسئلة والاظهر فيما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ
لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم تخف جملة ولا حجة لهم في ان
عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا حجة ايضاً للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وللآخرين
في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً فمحمل هذه الآية
على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف
بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد
ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم
من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم او يخالفوا بينهم اما من منع الاتباع عقلاً فيطرد اصله
في كل رسول بلا مرية واما من مال النقل فاينما تصور له وتقرر
اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف

واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم امهم سواء ثم ذلك
على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم
الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في
هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصداً او سهواً فكذلك قالوا
الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب
الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية
والاحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام
المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل
وغفلات القلب من سمات البشر كما قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل
حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سبب افادة
علم وتقرير شرع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لانسى

او انسى لا سن وبهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة
بعيدة عن سمات النقص اعراض الطعن فان القائل بتجويز
ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه على الفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الآخرين واما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
من افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يختص من امور دينه واذكار
مما لم يفعل ليتبع فيه فالاكثر من طبقات العلماء الامة على جواز السهو
والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك لما كلفه
من مقاسات الخلق وسياسة الامة ومعانات الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار والاتصال بل على سبيل الندور
كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع
السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد ان شاء الله تعالى عز وجل
فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه صلى الله
تعالى عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله
تعالى عليه وسلم وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية
قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك نحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة
في سهوه صلى الله تعالى عليه وسلم في الصلوة ثلثة احاديث اولها حديث

ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ في الفعل اجلى منه بالقول وارفع
للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر
فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو بالفعل في حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال رحمه الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى
انسيتهن وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لا انسى او انسى
لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن
انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما
قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه
وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذا كان له بعض السبب
فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب
الكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو
في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يسهو في صلوته شغلا بما لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية

الاخرى اى لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه
متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال
ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله لا انسى او
انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما
انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا
وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين
الطائفتين في قوله انى لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله تعالى بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن
قلبه لكن تشغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق
حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل
ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف الى لم يتمكن من ادائها
الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله تعالى عليه وسلم
عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند
نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره
خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث نفسه
ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن

مثل

١٦٣ مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون
لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
وروي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي
ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوئه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه
من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن
روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا
فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا
الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه صلى الله تعالى عليه وسلم
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو
ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا لمراعاة اوله ليعلمه بذلك
كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه صلى الله
تعالى عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال ذكرني كذا وكذا
اية كنت نسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القران
اى ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء

ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله يذكره صلعم ان يقال فيه انسى
وقد قيل ان هذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب
ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد
فيه واسقاطه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات جائز
عليه بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من
قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان
ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظماً ولا يخلط حكماً مما لا يدخل خللاً فى الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليف بلاغه

فصل فى الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به فى ذلك
اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن
شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق
الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
فى معناه وتقابلت الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعاً وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديماً وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيرهم وجب تركه
والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ فى النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك
قوله تعالى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله تعالى عفا الله عنك

لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية وما قص الله تعالى من قصص
غيره من الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقوله
تعالى فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء الآية وقوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية
وقوله تعالى عن يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من الظالمين وما
ذكر من قصة وقصة داود عليه السلام لقوله تعالى وظن داود انما فتناه
فاستغفر ربه وخر راكعاً واناب الى قوله وحسن مآب وقوله تعالى ولقد
همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى دعائه اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت ونحوه من ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الانبياء فى الموقف وقوله
ذنوبهم فى حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبى واستغفر الله
من ذنبى وفى حديث ابو هريرة انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لى وترحمنى الآية وقد كان
قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم
والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك
وقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً الى ما اشبه هذه الظواهر
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد
اختلف فيه المفسرون **فقيل** المراد ما كان قبل النبوة وبعدها **وقيل**
المراد ما وقع لك من ذنبك وما لم يقع اعلمه انه مغفور له **وقيل** ما كان
قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها **حكاه** احمد بن نصر **وقيل** المراد بذلك امته

صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتاول قوله
فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر
ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين
في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة واما قوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذلك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه
انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ان ينقضه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت
لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من

للمؤمنين

امور

١٦٥

امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله
تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه
الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل
ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن
شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه
لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا
بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه عن القشيري
قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام
العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي
روي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعز
واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله
تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين
فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص
به وفضل من بين سائر الانبياء وامته فكانه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تعالى تريدون عرض الدنيا الآية
قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ولا عليه اصحابه بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن
القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال الله تعالى لولا
كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الاية **فقيل**
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية **وقيل** المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم
مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب
من تعدى **وقيل** لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له
لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا **وقيل** بل كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد خير في ذلك وقد روى عن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا
وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن
بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا

منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه
في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو
استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك الوقت عذابا لحله لهم فيما سبق
وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك **وقال** القاضي بكر بن العلاء اخبر
الله نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم
والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل
فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما قد تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه
واما قوله تعالى عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله
تعالى عليه وسلم بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتعدى له ممن لا يزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى
وفعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة
الله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما
قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده

١٦٦

المتصدى ع

والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد
بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل فقيل فقيل اخطأ
فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم
نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك
بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما
وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل
لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن
الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم
بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان
عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر
فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا
اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ
ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل
اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول

نهى

نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى وقال فتاب عليه وقال في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن
اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد
مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل
بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة وقد قدمنا الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون
تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عن حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا
نوح على قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي معناه نزه ربه عن الظلم واضاف
الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحواء ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب

الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقل بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد فيه حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله
وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى
فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى
قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل
لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على
خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه
الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل
بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى
نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو
تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين
اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف
عليه واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر
الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع
ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله
تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب

كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة
لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت
حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة
واذا لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا
هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما
ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى
ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير
اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك
وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال الله تعالى كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية وقيل في ربي الله
وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها
امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بها بضربها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه
عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من
عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في
هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا
لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي

فاغزلي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدًا للقتل وانما وكزه
وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة
وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاءً بعد ابتلاء وقيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل
القاه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصًا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل
الفتنة معنى الاختبار واظهار ما يظهر الا انه استعمل في عرف الشرع في
اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل
ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع
عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم
من انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله
انه رسول الله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما
حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة
على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله

فقال

فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة فجاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله وقال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي
على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب
ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل
اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل
سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في
الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل
هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة
وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله تعالى ورسله بخواص منه وقيل
ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى
واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام
فظاهره العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك
فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عليه من ذلك لا انه شك في وعد الله

فبين الله تعالى علة انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي
هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق للذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ
بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم
يوذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تاويله واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي
في الصحيح من ان نبيا هو موسى او عزير عليهما السلام قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة فاحرقت امة من الامم تسبح
فليس في هذا الحديث ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا
بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي
كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى
عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال
الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله
انما كان لاجل انها اذته هو خاصة فكان انتقاما لنفسه وقطع مفسدة نفع
يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا
فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم
فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة

الانبيا

الانبيا
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه
مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ
به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا
عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه
التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من
الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوى ما يجري من حالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم
متلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات الاخيار
اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظ كيف ما كانت من سهو او تاويل
فهي مخالفة وترك وقوله تعالى غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي
عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين و
قيل انسي يوسف عليه السلام ذكر الله وقيل انسي صاحبه
ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف

مالبث في السجن مالبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل
له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى
قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبياء بمثاقيل الذر
لمكانتهم عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبياء يواخذون بهذا مما لا يواخذ به غيرهم
من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم في هذا اسوا
حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة في هذا
على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا
ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لنمات رتبهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك
اني اصطفيتك على الناس ثم قال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له
الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو ما
قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
بمواخذتهم بذلك فليستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا
الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا
النصاب الرفيع المعصوم فكيف من سواهم ولهذا قال صالح المري
ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من
قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم

عليه وسلم وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا
عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما
اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل
ان كثرة استغفار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على
نعمه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امن من المواخذة بما تقدم وما تاخر
افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث
بن اسد المحاسبي خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبدا
لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم
كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا
فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء للاستغفار والتوبة والانابة
والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من
عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم
بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء

مما قررناه من امور الشرع واداه من ربه من الوحي قطعاً عقلاً
وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول مذ نبأه الله وارسله
قصداً او غير قصدٍ واستحالة ذلك عليه شرعاً واجماعاً ونظراً وبرهاناً
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه من الكبائر اجماعاً وعن
الصغائر تحقيقاً وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط
والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجدٍ ومزحٍ فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه
يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا
ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى الله
تعالى عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من
ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع شيئاً منها يرى ان الكلام فيه
جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه
متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول
الفقه ويبنى عليه مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب

مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولابد من بنائه
على صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز
عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمداً وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب
ذلك العلم فلا نطول فيه وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن
اضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً من هذه الامور ووصفه بها فمن
لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف
يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترئ على سفك
الخلاف كيف يصمم في الفتيا او مدح فاما ان يجترئ على سفك
دم مسلم حرام او يسقط حقاً ويضيع حرمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين
في عصمة الملائكة **فصل** في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون
ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين
منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق
الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصي واحتجوا بقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله
تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله
تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله تعالى

كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت
طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء
ذكرها اهل الاخبار والتفاسير ونحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين
الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة للفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا
اقول ان للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به
من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها
اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وا
ابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء
لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيئا
يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار
من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من افترائهم
بريد على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله
تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة مَلَكين او مَلِكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه

وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن
فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امر به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا
فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالة قدره وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون
لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف
لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد
لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي تقرير الكلام وما
كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك
وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء
به كما ادعوا على سليمان علمه فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه
قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على
الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قرأ عبد الرحمن بن
ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا
على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي
والقراءة بكسر اللام شاذة فمحل الآية على تقرير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون

وكرام بررة ولا يعصون ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان
من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه
من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون
ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن
زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس سائغ في كلام العرب شايع وقد
قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان
خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا
ثم آخرون وكذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها
تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها الباب الثالث فيما يخصهم في الامور
الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية وقد قدمنا انه صلى الله تعالى
عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص
للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه
الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر
وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب
ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي
السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه

من سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله
ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن
لم يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته
اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
عنه سيف غورث وحجر ابو جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر
ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا ساير انبيائه
مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين
امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن
اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما
على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال
وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست
انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه
وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم
لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره
اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم في نومه

حاضر القلب كما في يقظته حتى جاء في بعض الآثار انه كان محروسا
من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم
انى ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ
بعد في بيانه **فصل** فان قلت قد جاءت الاخبار الصحيحة
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقرائتي عليه
حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان
هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم **فاعلم** وفقنا الله واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته
واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء وما يفعله فليس في هذا ما يدخل

عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا مما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر
فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا
فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا
يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر
منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله
وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان
يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة وهذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة
عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم
فكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن
ذوي الاضاليل يستفاد من الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير **وقال** فيه عنهما سحر يهود
بني زريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر
وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن الحكم وعمر بن كعب وذكر عن
عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة
سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه
الحديث **قال** عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة
خاصة سنة انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس عن النسا والطعام والشراب وهبط عليه
ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل اليه
انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه وتقدم عادته
القديمة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان
بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره
لا لشيء طرء عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر
له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا فصل
هذه حالة في جسمه واما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا
الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور
الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله الرومي وعباس العنبري
واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة حدثنا
ابو النجاشي حدثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا
نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له
فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي
فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث
اخر انما ظننت ظنا فلا تاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر
فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر
اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا
وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه
وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر هذا منزل انزلكه الله
ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل
هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى تاتي
ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله
وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمار المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه
من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها
يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور
اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة

مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون
في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها
وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر كما نبهنا عليه في باب معجزاته من
هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من المصلح فبهذه
لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق
اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا
محمد بن كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب
بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ
من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله تعالى
عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء
مع مقتضى حكمة في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سائر عباده ومخبآت
ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء
به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه

ويؤثره



177

ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعة لانا لا نعلم ما اطلع
هو عليه في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم الذي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على
علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح
في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي
ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية
من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع في كل حال على اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر
المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجوه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته

عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة
وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم اني لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي
في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خائنة القلب
فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك فاعلم اكرمك الله ولا تشك في تنزيه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب
تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل
التفسير عن علي بن الحسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون
من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى
عنه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل
جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت
جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان
امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد
من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله تعالى عليه وسلم
مما كان اعلمه به تعالى وقوله في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر وقال الطبري ما كان الله
ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله

في الذين

في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما
روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عند ما اعجبته ومحبة طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به
من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد
المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل
يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اياها لازالة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة
في امر النبي لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن
بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامره الله بزوجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال الله
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان
امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه

عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناها
الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى الله
تعالى عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء
كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما
عتبه على مراعات رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله
لك الآية وكذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد
روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا
لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت
قد تقررت عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح
منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضا ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى الله
تعالى عليه وسلم الذي حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى عليه
حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق
قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد
الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال

لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر
رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من
القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر
اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية
هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف

الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل
هجر واهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة وجعه وهول الذي اختلف فيه عليه والامر
الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر
مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق
على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما
على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث
جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى
المختلفين عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه هجرا
ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف
العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله
تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
فقد ظهر من قرائن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبعضهم ما فهموا اذ لم
تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما رأوا
من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما
اشفاقا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من تكليفه في ذلك الحال
املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
اشتد به الوجع **وقيل** خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك

الامور

الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطئ ماجورا **وقد علم** عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان
الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقوله صلى
الله تعالى عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا
كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما
كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان
معنى الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب
لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض الصحابة
فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهية
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم
وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب
كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل
فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي
عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن
سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة

يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم انما محمد
يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان
يلعن النبي من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب
ويجلد من لا يستحق الجلد ويفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم
من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها
باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه صلى الله تعالى
عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله تعالى
عليه وسلم بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا صلى الله تعالى عليه وسلم لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره ان تتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان
يجعل دعاه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه
صلى الله تعالى عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله
اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه
او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين
المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم

امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد
بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد
في صفته في غير حديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله تعالى
عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث بان
يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على
المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد
يكون ذلك سؤالا منه لامته لربه من جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب
من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري ان كان ابن
عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال
اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر ريب ولكنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على
طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب

استوفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر
الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل
المسلمون هذا الحديث اصلاً في قضية وفيه الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو
غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوماً
وغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
فما ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي
حين طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي
قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
به بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول له
تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله تعالى
عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم
اشفق اذا كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمر
واتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس خط
وغشيني بقضيب كان في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه انما ضربه صلى الله تعالى عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد
بضربه بالقضيب الا تنبيه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه

على

على ما قدمناه **فصل** واما افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيوية فحكمه
فيهما من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو او الغلط ١٨٢
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ
عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف
شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم
في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف
الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره
الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلاً على الثبات ويركب الخيل ويعدها
يوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته
وسياسة وكراهة لخلافها وان كان قد يرى غيره خيراً منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيراً منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له
الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهية لان يقول الناس ان محمداً يقتل اصحابه كما جاء في الحديث
وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذراً من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله

فقال لعايشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم عليه السلام ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنا مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله
لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط
وجهه للعدو والكافر رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من
شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت
في ملاءة حتى لا يبدو امنه شي من اطرافه وحتى كانه على رؤس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه قد وسع الناس بشره وعدله لا تستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعايشة رضي الله تعالى عنها عن الداخل عليه بئس ابن العشيرة
فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من
شرار الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب انه فعله صلى الله تعالى عليه وسلم كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج عن مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما
زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة وهو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق

بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا مطبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة
او دفع مفسدة لم يكن لغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل
في معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها
بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوا من عايشة كما لم
يتبعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في
اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله
تعالى اولئك لهم اللعنة وقال الله تعالى وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على التسوية والاعلام بان
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقريعهم على ذلك

يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء
اى اظهري حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا ذلك موبخا على مخالفة
ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ
جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الآية
تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الآية
فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف
كان اعلم اخاه بانى اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا
من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة
عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب بحل شبهه ولعل قائل ان حسن له التأويل
كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان تقول
الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحنهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه

١٨٦ فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل و
وكلماته جميعها صدق ولا مبدل لكلماته يبلي عباده كما قال لهم لينظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين آمنوا منكم
وليعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو الهنات فرطت منهم او غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم
اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا
ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا
حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي
قتل معه ربيون كثير الآيات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء
بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وعن
انس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم

وفی حدیث اذا احب الله عبدًا ابتلاه لیسمع تضرعه وحکی السمرقندی
ان کل من کان اکرم علی الله تعالی کان بلاؤه اشد کی یتبین فضله
وان یستوجب الثواب کما روی عن لقمان انه قال یا بنی الذهب
والفضة یختبران بالنار والمؤمن یختبر بالبلاء وقد حکی انه ابتلاء
یعقوب بیوسف کان سببه التفاته فی صلوته الیه ویوسف نائم
محبة له وقیل بل اجتمع یومًا هو وابنه یوسف علی اکل حمل مشوی
وهما یضحکان وکان لهما جار یتیم فشم ریحه واشتهاه وبکا وبکت
جدة له عجوز لبکائه وبینهما جدار وعلم عند یعقوب وابنه فعوقب
یعقوب بالبکاء اسفًا علی یوسف الی ان سالت حدقتاه وابیضت
عیناه من الحزن فلما علم بذلک کان بقیة حیاته یامر منادیًا ینادی
علی سطحه الا من کان مفطرا فلیتغد عند آل یعقوب وعوقب یوسف
بالمحنة التی نص الله علیها وروی عن اللیث ان سبب بلاء ایوب
انه دخل مع اهل قریة علی ملکهم فکلموه فی ظلمه واغلظوا له الا ایوب
فانه رفق به مخافة علی زرعه فعاقبه الله ومحنة سلیمان لما ذکرنا من نیته
فی کون الحق فی جنبة اصهاره او للعمل بالمعصیة فی داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبی صلی الله تعالی علیه وسلم
قالت عایشة رضی الله تعالی عنها ما رایت الوجع علی احد اشد منه
علی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وعن عبد الله رایت النبی صلی الله
تعالی علیه وسلم فی مرضه یوعک وعکا شدیدًا فقلت انک لتوعک وعکا
شدیدًا قال اجل انی اوعک کما یوعک رجلان منکم قلت ذلک ان
لک لاجر مرتین قال اجل ذلک کذلک وفی حدیث ابی سعید ان رجلًا

وضع یده علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم فقال والله ما اطیق اضع یدی
 علیک من شدة حماک فقال النبی صلی الله تعالی علیه وسلم انا معشر الانبیاء
یضاعف لنا البلاء ان کان النبی صلی الله تعالی علیه وسلم لیبتلی بالقمل حتی
یقتله وان کان النبی صلی الله تعالی علیه وسلم لیبتلی بالفقر وان کانوا
لیفرحون بالبلاء کما تفرحون بالرخاء وعن انس رضی الله تعالی عنه عن النبی صلی الله
تعالی علیه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قومًا
ابتلاهم فمن رضی فله الرضی ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرین
فی قوله تعالی من یعمل سوءًا یجز به ان المسلم یجزی بمصائب الدنیا فتکون
له کفارة وروی هذا عن عایشة وابی وهی رض وقال ابو هریرة رض
صلی الله تعالی علیه وسلم من یرد الله به خیرًا یصب منه وقال فی روایة
عایشة ما من مصیبة تصیب المسلم الا یکفر الله بها عنه حتی الشوکة یشاکها
وقال فی روایة ابی سعید ما یصیب المؤمن من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن ولا اذی ولا غم حتی الشوکة یشاکها الا کفر الله
بها من خطایاه وفی حدیث ابن مسعود ما من مسلم یصیبه اذی الا حات
الله عنه خطایاه کما تحات ورق الشجرة وحکمة اخری اودعها الله تعالی
فی الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع علیها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوی نفوسهم فیسهل خروجها عند قبضهم وتخف علیهم مؤنة النزع
وشدة السکرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلک خلاف
موت الفجاءة واخذه کما یشاهد من اختلاف احوال الموتی فی الشدة
واللین والصعوبة والسهولة وقد قال رسول الله صلی الله تعالی
علیه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفیئها الریح هکذا وهکذا وفی روایة

الى هبرة من حيث اتتها الريح تكفأها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى
يقصمه الله معناه ان المؤمن مرزأ مصائب بالبلاء والامراض لانه
يتصرف بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخط
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترجحها من حيث
ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء واعتدل صحيحا كما
اعتدلت خامة الزرع عن سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة
نعمة عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل
لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله اشتد عليه سكراته ونزعه لعادته
بما تقدم من الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا المؤمن
معافا في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله
هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته
اشد عليه حسرة ومقاسات نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا
ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال الله تعالى فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية ففجئ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد
بغتة ولهذا كره السلف موت الفجأة ومنه في حديث ابراهيم كانوا
يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة
ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول

الموت

الموت فيستعد من اصابته وعلم تقاربه ذاله للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من
قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من
وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له
ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق
في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد
في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما
في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا
وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واولياء المتقين وهذا كله يحرمه غالب
الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصية
وقال موت الفجاة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك
لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره
عليه كيف ما جاء وافضى الى راحة من نصب الدنيا واذاها كما قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مستريح او مستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته
على استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره له والى هذا المعنى اشار رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن
كره لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام
فيمن تنقصه او سبه صلى الله تعالى عليه وسلم **قال** القاضي ابو الفضل قد تقدم
من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وما يتعين له من توقير وبر وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم
الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال الله تعالى والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال
تعالى في تحريم التعريض يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا
سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق الى سبه والاستهزاء به **وقيل** بل لما فيها من مشاركة اللفظ
لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت **وقيل** بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا صلى الله تعالى عليه وسلم قد نهى عن
التكني بكنيته وقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن
اذاه اذ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا

يا ابا

يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني
بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون و
المستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به وينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى صلى الله تعالى عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء
نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس
في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور
والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل
الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان
الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه
بكنيته يا ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة
لا يسمى احد باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري
وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد
وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى
الله تعالى عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد
الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء وغير اسماء جماعة
تسمى باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله
تعالى عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا

وكنى بابى القاسم وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذن فى ذلك
لعلى رضى الله تعالى عنه وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم
المهدى وكنيته وقد سمى به صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن
حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد فقال ما ضر احدكم ان يكون فى بيته
محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلت الكلام فى هذا القسم على ما بين كما قدمناه
الباب الاول فى بيان ما هو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سب
او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشئ على طريق السب له او الازراء عليه
او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهذا ساب له والحكم فيه
حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا
المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث فى
جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره
بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل
العلم على ان من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى رحمه الله
قال القاضى ابو الفضل وهو مقتضى قول ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله والثورى

واهل

واهل الكوفة والاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد
بن مسلم عن مالك وحكى الطبرى مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى
الله تعالى عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر
سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه
بين علماء الامصار وسلف الائمة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله
وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى
الخلافة فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه وقال محمد بن سحنون
اجمع العلماء ان شاتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه
كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن
الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن
سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن
حبيب من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل ولم
يستتب قال ابن القاسم فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه
فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره
وبره وفى المبسوط عن عثمان ابن كنانة من شتم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل وصلب حيا ولم يستتب والامام
مخير فى صلبه حيا او قتله ومن رواية ابى المصعب وابن ابى اويس

سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه
او تنقصه قتل مسلما او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك انه قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من
مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك
او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن الحكم
من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك
من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال
بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل
او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن
قال في النبي الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم
رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا
المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج
هذا من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل
قيل له لا وحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال فعل الله
برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التأويل في لفظ صراح لا يقبل

لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له
فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
اد واشك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت
فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس في قتل ابن حاتم
المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه
ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا
وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاحضر
له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه وطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه
لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه
فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله وذكر حديثا عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لا يلغ الكلب دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن
المرابط من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب فان
تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز عليه ذلك في خاصته اذ هو على
بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم

ما فيه نقص قتل دون ان يستتاب وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
يوجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضاً
او مصرحاً وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سباً
ونقصاً يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم الى متأخرهم وان
اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من
غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه
من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من
مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصل** في الحجة في ايجاب
قتل من سبه او عابه صلى الله تعالى عليه وسلم في القراءة لعنة الله
تعالى لموذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل
قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً وقال في
المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله
ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون
القتل من الضرب والنكال وكان حكم موذي الله ونبيه اشد من
ذلك وهو القتل فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه

ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم
ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال الله
تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل
التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون
عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمرو بن
حيوية قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا
عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد
بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبياً فاقتلوه ومن سب اصحابي
فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل كعب بن
الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة
بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك
بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امر يوم الفتح بقتل ابن خطل
وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث
آخر ان رجلا كان يسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي

فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل
جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر ابن حارث وعقبة
بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان
عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سبه رجل
فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى
ايضا ان امرأة كانت تسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يكفيني
عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن
قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وبلغ المهاجرين ابي امية امير اليمن لابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس
هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس
ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها

فلا تزجر

١٦١ فلا تزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي
حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد
من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد واستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره
في قتل رجل سب عمر رضي الله تعالى عنه فكتب عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم
بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال
يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم الصحابة
جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواه غير واحد
من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء
الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه
او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل سب او غير سب
او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل

من سبّه كما قدّمناه ويدلّ على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبّه
او تنقّصه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد ظهر علامة مرض قلبه وبرهان سرّ طويّته وكفره
ولهذا ما حكم كثير من العلماء بالردّة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر دليل
على الكفر فيقتل حدًّا وان لم يحكم له بالكفر الّا ان يكون متماديا على قوله
غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه
او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال
اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شرّ من الحمير وقيل
بل قول بعضهم كما مثلنا ومثل محمد الّا قول القائل سمّن كلبك يأكلك
ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذلّ وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غيّر دينه
وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غيّر دينه فاضربوا عنقه ولان الحكم
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة مزيّة على امّته وسابّ الحرّ من امّته يحدّ
فكانت العقوبة لمن سبّه صلى الله تعالى عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي
قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذّى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان **واعلم** وفقنا الله تعالى

وايّاك انّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في اوّل الاسلام يستألف عليه
الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبّب اليهم الايمان ويزيّنه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم مبشّرين ولم تبعثوا منفّرين ويقول يسّروا
ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفّروا ويقول لا يتحدّث الناس انّ محمدا يقتل
اصحابه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم
الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى
فقال ولا تزال تطّلع على خائنة منهم الّا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
انّ الله يحبّ المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانّه وليّ حميم وذلك لحاجة الناس الى التألّف اوّل
الاسلام وجمع الكلمة عليه فلمّا استقرّ واظهره الله على الدين كلّه قتل من
قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه
قتله غيلةً من يهود وغيرهم او غلبةً ممّن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الايمان به ممّن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع
والنضر وعقبة وكذلك اهدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهما ممّن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان
يقولها القائل منهم خفيةً ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم
ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله تعالى عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم
كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص

سرًّا کی اظهر جهرًا ونفع الله بعد بکثیر منهم وقام منهم للدین وزراءٍ واعوانٍ
وحماتٍ وانصارٍ کما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله
تعالى عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم علم
من اقوالهم ما رُفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في
هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا يُستباح الا بعدلين وعلى
هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى
كيف نبهت عليه عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا اصح النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليًّا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم
فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض علمائنا البغداديين
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضاً فان الامر كان سرًّا وباطناً وظاهرهم
الاسلام والايمان فان كان من اهل الذمة بالعهد والجواز وان من
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن
المذكورين من العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة
سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسرّوا في انفسهم لوجد المنفر ما
يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن
العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الثرة وقد رأيت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رض ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

لا يحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال تعالى اولئك الذين نهاهم الله
عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل
وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم
لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن سلمة
في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبًّا ورأى انه من
الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال
في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما
لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد
تسأمون دينكم والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين
بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض
الذمي او غيره بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد
قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سواء وقال القاضي

ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث
هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد
الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يومنون ولذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتألف ينفران من عنه ولما ذكرناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم
صلى الله تعالى عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله
عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت
فقد جا في الحديث الصحيح عن عايشة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه
في شي يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله فاعلم ان هذا
لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما
جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجبذ
الاعرابي ازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه
واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر جا بعد ذلك

اسلام

اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى
الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم
بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل** قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به
وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال
فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل
لما قال في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء
ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة الكفر من
لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما
في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض
من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر
من امور اخبر بها صلى الله تعالى عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن قصد لرد
خبره او يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب
في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة
حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل
دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشي مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ولهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه

الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قدمناه وقال
محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد
بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لانه
يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من
شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو
كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت ح غير محرمة فلم يكن في جناياتها
اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب
الدواء المأمون فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه
فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكون به انتقل
بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله
ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته
لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من
كذب او غيره وان كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله
التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد

او كذب

١٩٥

او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم
في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران
وانما هو شيء تقوله يقتل ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه قاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد
لانه كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ
او زعم انه ارسل الى الناس وقال ان بعد نبيكم نبي انه يستتاب
ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في
دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف
مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اسود قتل لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم اسود وقال نحوه ابو عثمان
الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة
قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
ونفي والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون
استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره يردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة

العجز ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا للشتم وقال أبو إسحق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشتم الملائكة صلوات الله عليهم ومقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون فهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان

فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إمعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن من جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في الكلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من القول ولا شك أنه يدخل في هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قد قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم

انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله
لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل
لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها
قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض
من شهد عليه توهين ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن
عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد وانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من
الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسياط واطلقه **فصل** الوجه
الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة
لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه
او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد
قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس لم يسلم منهم انبياء الله ورسله وقد صبرت
كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله على عداه وحلم على اكثر مما

صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه
من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان آخر البيت
شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيه غير النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر
استغناؤه عنها وهذا اشد ونحو منه قول الآخر واذا ما رفعت راياته صفقت
بين جناحي جبريل وقول الآخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا
فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد
بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضا
وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا
حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب
الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان
المعري بل قد خرج كثير من كلامهم الى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء
نقصا ولست اعني عجزي بيت المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما

وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة
حين شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل
لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول ورفع الصوت عنده فحق هذا ان
درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على
ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر
الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا
موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر
باخراجه عن عسكره في ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او
قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تنازع
الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا
عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا
يضاف هو فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج
جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه رحمه الله تعالى ففي النوادر
من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا
ان يقولوا قد اخطأت الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال

جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد
بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه
حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو
شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح
بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن
نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما
انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج
بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو
قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل
شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع
عليه مقالته فكفره الناس واشفق الشاب اليس كان النبي مما قال واظهر
الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا
نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه
اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد

القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور
رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه
وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له
عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به
على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او
في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب
ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل
لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او
شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير
للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين
انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان
من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب
لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى
حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان بالامر سقط عن الباقي الغرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة

عليه وعقد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث
فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا
في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى
الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير
هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض
شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا
في محكم كتابه وكذلك وقع في امثاله في احاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على
حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس
وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل ايضا انكار لبعض
هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين
بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والظرف واحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من
بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم
تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه

استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو
كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق
فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه
منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله
وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة
له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ
لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم
الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل
الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكتابه
وقرائته وتركه متى وجد دون محو رحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم وقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي
اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض
سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرء من الامور

البشرية

البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدة
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس
زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب
ذلك من عساه لا يفقه او تخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن فقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخبرا عن نفسه
باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله قال ما من نبي الا وقد رعى الغنم
واخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة
واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج
الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته
بما سبق لهم من الكرامة في الازل متقدم العلم وكذلك قد ذكر الله
يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على
وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ
اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة

ملك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك
او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره
ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سئل ابا سفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا
اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى
به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزاته اذ معجزته العظمى من القرآن
العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله تعالى
عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة
في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة
والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحيوته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
غاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه
وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة

بيته زهدا ورغبة من الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها
وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد
منها شيئا مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على
غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق في الفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما
في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحمة له مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من
الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت اليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تاويلها وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من آمن به ومنهم من كفر فاما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا حق انبيائه ولا يتحدث ولا

يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها
الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعانى واهية الاسناد
وقد انكر الاشياخ على ابى بكر بن فورك تكلفه فى مشكلة الكلام على
احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة على اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها البينة على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة
اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس
فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه فى الفصل قبل هذا على
طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم فى كلامه عند ذكره صلى الله تعالى
عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب
حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا
ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ
على عدوه ومودة الفداء للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو قدر عليه ولو
والنصرة له لو امكنته واذا اخذ فى ابواب العصمة وتكلم على مجارى
اعماله واقواله صلى الله تعالى عليه وسلم تحرى احسن اللفظ وآداب
العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح
كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم فى الاقوال قال هل
يجوز عليه الخلف فى القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا
ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم
على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون

عنده

عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ
وبشاعته واذا تكلم فى الافعال قال هل يجوز منه المخالفة فى بعض الاوامر
والنواهى ومواقعة الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز
ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى فهذا من حق
توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له من تعزيز واعظام وقد رايت
بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله وشنع
عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
فى ادبهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه صلى الله تعالى
عليه وسلم اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشئ او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها تعظم الامر او تهونه ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من
البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفى عنه والتنزيه فلا حرج فى تسريح
العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر
بوجه ولا الجور فى الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه فى القسم الثانى
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آى من القرآن حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليها الكذب فكان يخفض
بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به
الباب الثانى فى حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه
وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى فى حقه

صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله
اوتخيير الامام في قتله اوصلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء
قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسير
الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا يسقط التوبة
كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى اذا اقر
بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال
ابو محمد بن ابي زيد في مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه
وقال ابو محمد بن سحنون من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق
اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال
من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما
اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر ذلك ومنهم من قال اقبل
توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف
من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة
ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على
الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد
القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي

تقبل توبته واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يستتاب
قال محمد بن سحنون ولم يزل قتل عن المسلم بالتوبة من سبه
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل
شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل
من ظاهر الى ظاهر قال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط الاعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس
تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن
جميع المعائب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلى
الله تعالى عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن
سب صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من
زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة وقال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة يقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف
او لان توبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم
بسريرته ونفي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب
لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام
بشيوخنا هو، لا، مبني على القول بقتله حداً لا كفراً وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن المسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا و
يستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد
مطلقاً في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط
الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حداً وانما
يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حداً لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه
وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل
فكيف تثبتون عليه الكفر ولم يشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه
من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل ولا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلاً ومعصية وانه مقلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض
الاشخاص وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من
علم انه سبه معتقداً لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان
كان سبه في نفسه كفراً كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حداً

لقوله

لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم
عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل
كافراً بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى عز وجل **فصل**
اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها
ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن
القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم
ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن
ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي
واحمد واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه
الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله تعالى ولكن لا يدرأ القتل عنه لقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضاً عن عطاء ان كان ممن ولد في
الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان
المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق
وقال عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه

قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك سواء
واما مدتها فمذهب الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلثة ايام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولى الشافعى وقول احمد
واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتى الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابى زيد يزيد فى الاستيناء
ثلثا وقال مالك ايضا الذى اخذ به فى المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار
فى تاخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الرأى وروى عن ابى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعى
مرة فقال ان لم يتب فانه قتل واستحسنه المزنى وقال الزهرى يدعى
الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروى عن على رضى الله تعالى
عنه يستتاب بشهرين وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذه الثورى
ما رجيت توبته وحكا ابن القصار عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلث
مرات فى ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة وفى كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة
ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا
يؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ويعرض عليه الاسلام وفى كتاب ابى الحسن الطابثى يوعظ فى تلك الايام
ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون

مع الناس

مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذى ارتد
اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع
وهو قول الشافعى واحمد رحمهما الله وقاله ابن القاسم وقال اسحق
يقتل فى الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا
ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد فى المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو على مذهب مالك والشافعى والكوفى رحمهم الله فصل
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
واللفيف من الناس او ثبت قول لكن احتمل ولم يكن
صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عليه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة فى الدين
والنبز بالسفه والمجون فمن قوى امره اذاقه من شديد
النكال من التضييق فى السجن والشد فى القيود الى الغاية
التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن
صلوته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله
لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات
الشدة فى نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد

عن مالك وان وزاعى انها ردة فاذا تاب نكل ولمالک فى
العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة
عليه وقال سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سبه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهد ان عدل احدهما
بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسى فى مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عايق
اشكل فى القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال حبسه
ولو كان فيه من المدة ماعسى ان يقيم ويحمل عليه من القيود شدا
ويضيق عليه فى السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال فى مسئلة
اخرى مثلها ولا يهراق الدما الا بالامر الواضح وفى الادب
بالسيوط والسجن نكال للسفها ويعاقب عقوبة شديدة فاما
ان لم يشهد عليه الا شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم
عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون
الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم ههنا فى تنكيله
موضع اجتهاد والله ولى الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم
فاما الذى اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا فى قتله ان لم يسلم لانا لم
نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلما الا ابا حنيفة
والثورى واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل

ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا فى دينكم الاية ويستدل عليه ايضا بقتل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم
نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك
معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم
وصاروا كفارا يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود
الاسلام عنهم من القطع فى سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه
منهم وان كان ذلك حلالا عندهم وكذلك سبهم للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضى
الخلاف اذا ذكره الذمى بالوجه الذى كفر به ستقف عليها من
كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف
فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه القتل لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر فى بغضه له
وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا
مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما بدا منه الآن فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ
قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه ولم يسقطها

شئ وقيل لا يسقط اسلام الذمي قتله لانه حق للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط كما وجب عليه
من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا
لا نقبل توبة المسلم فلا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
من اهل الذمة او احداً من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان
يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون
وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم
فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين عليهم
السلام من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا
تناول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه
وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمداً لم يرسل الينا
وانما ارسل اليكم فانما نبينا موسى وعيسى او نحو هذا لا شئ عليهم
لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي
او لم يرسل ولم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ يقوله او نحو هذا
فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد

ان محمداً

ان محمداً رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب
الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم شتماً يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم
يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعاً وقال
ابن سحنون في سؤالات سليمان ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن
اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر
من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء عليهم السلام من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحداً منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل
لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول
قائل لذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الا
الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي
ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن
القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه
خلاف ما روى عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
وقال أُتيتُ بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي
فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوماً وليلة وامرت من جر برجله

وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني
قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن
نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الآن
في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد
كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن
كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود
والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق
جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب
الى مالك من مصر وذكر مثله ابن القاسم المتقدمة قال فامرني
مالك فكتبت بان يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته
بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا
الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامها
ودرء القتل عنها وبه قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي
وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب
الله ورسوله من مسلم او كافر ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد
في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون
وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي اسلامه

وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حدود القذف فحق العباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله تعالى
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه فذهب سحنون الى انه لجماعة
المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه
كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على
كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر
للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل
حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر
بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى
كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك
في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم
في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن

كوزه مثله قال ابن القاسم وحكم حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ
قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث
الزنديق الذى يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف انه
لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم يعدل عليه
بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعلن
دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك
ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعى وابو ثور
وابن ابى ليلى رحمهم الله واختلف فيه عن احمد وقال على بن ابى
طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز
والحكم والاوزاعى والليث واسحق وابو حنيفة رضوان الله تعالى
عنهم يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما اكتسبه قبل ارتداده
وما اكتسبه فى الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابى الحسن فى باقى جوابه حسن
بين وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك
فى ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه
بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد
بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وروى ابن نافع فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب

والمغيرة

والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية
الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم
يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من استتر بكفر فانهم
يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن
النصرانى يسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل
دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم بنقضه العهد
هذا معنى قوله واختصاره الباب الثالث فى حكم من
سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من
المسلمين كافر حلال الدم واختلف فى استتابته فقال ابن القاسم
عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين
قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان
به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال فى المبسوطة
مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى
حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودى والنصرانى
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
وذلك كله كالردة وهو الذى حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن الله
تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال يقتل
بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف

فقهاء قرطبة في مسئلة هارون ابن حبيب اخ عبد الملك ابن الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه
قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابابكر
وعمر رضي الله تعالى عنهما لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم
بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم
منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد ابن سليمان القاضي بطرح
القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى
فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين
اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما
ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل ان اتهمناه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم
له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته فاذا انتقل من دين الى دين اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب
على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على
ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف
الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد
الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى

الهوى

الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة
وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد
منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر رضي الله تعالى عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في
الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الهواء
وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال
عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية
وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدعة والتحريف لتاويل
كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب
محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا
ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل
البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر
بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم
موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من
اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر

واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين
ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج
القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من
ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك
منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر
فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى
يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من
ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الاختلاف
اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة [illegible] ى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقال ابن [illegible] والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو
اسحق الفـ[illegible] [illegible]شيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول
اكثر المحدثين و[illegible]فقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول
احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن [illegible] معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي [illegible] طالب
وابن عمر والحسن البصري رضي الله تعالى عنهم وهو رأي
جماعة من الفقهاء والنظار [illegible] واحتجوا بتوريث الصحابة

٢١١ والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في
المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد
المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه
على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من
العداوة **فصل** في تحقيق القول في اكفار المتأولين قد ذكرنا
مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء
والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور
من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين
وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال
فتوارثهم من المسلمين وتحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع
اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير وضده واختلاف قولي مالك رحمه الله تعالى في ذلك وتوقفه
عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر
امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم

لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولاً يؤدى اليه واضطرب قوله
فى المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال
فى بعض كلامه انهم على رأى من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم
ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم وتختلف على موارثيهم على الخلاف
فى ميراث المرتد وقال ايضا يورثه ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا
يورثهم هم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله ترك التكفير
وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى وقال مرة
من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه فى الطرق
فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالى رحمه الله
تعالى فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر
له ان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر فى الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم فى الدين وقال غيرهما من المحققين الذى يجب
الاحتراز من الكفر فى اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاذا قالوها يعنى الشهادة فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح
خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ
الاحاديث الواردة فى الباب معرضة للتأويل فما جاء منها
فى التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم فى الاسلام وتسمية الرافضة

بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك فى الخوارج وغيرهم من اهل
الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد
ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث على غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر
دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله فى الرياء وعقوق
الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملاً للامرين فلا يقطع
على احدهما الا بدليل قاطع وقوله عليه السلام فى الخوارج هم من شر
البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى
لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له
انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه
للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد فى الحديث دعنى اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله
يصلى فان احتجوا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم يعودون اليه حتى يعود السهم
على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام
بشئ اجابه الآخرون وان معنا لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله ويتمادى فى الفوق وهذا يقتضى التشكيك فى حاله وان احتجوا ايضا
بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله تعالى عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب قول المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول

عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر **اعلم** ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعرف بالالهية الله تعالى

ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور
او ادعى له ولدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في
الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة
والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج
اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة و
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة
والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا او واحد من الانبيا الذين نص الله
عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان
عليا كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه كان المبعوث اليه جبريل
وكالمعطلة والقرامطة والاسمعيلية والعنبرية من الروافض وان
كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
ولكنه جوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به ادعى بذلك المصلحة بزعمه
او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع

واكثر

واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور
الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها
ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم
التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال
انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا عليهم السلام او ازرى
عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك يكفر
من ذهب مذهب بعض القدما في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا
او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج
بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف
انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا
المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله
وكذلك يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي
او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته
المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر
الرافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله تعالى عنه في الرسالة للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه

في النبوة والجنة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان
واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلوب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من
ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه خاتم
النبيين ولا نبي بعده صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر عن الله انه خاتم
النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر
هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على
تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا
به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان
بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر
مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر
باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا
يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفيرهم جميع الامة بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم عليا
كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب
حقه في التقدم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله
اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة رضوان الله تعالى

عليهم اجمعين ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله تعالى عنه وهو يعلم انه يكفر
بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس
فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال
علامة على الكفر فان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على
تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل
المتواتر من فعل الرسول عليه الصلوة والسلام ووقع الاجماع المتصل
عليه كمن انكر وجوب الصلوات الخمس او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول
انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفة والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر
عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من
قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة
اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم
ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام

اوصفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة
كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة
والبيت والمسجد الحرام لا ادرى هل هي تلك او غيرها ولعل
الناقلين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير
غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به
علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذى
لم تعلمه بعد كافة المسلمين ولا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى
معاصر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل
لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذى هو فيها هو الكعبة
والقبلة التي صلى لها الرسول عليه الصلوة والسلام والمسلمون
وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال صفات عبادة الحج والمراد
به وهي التي فعلها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون وان
صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع
لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادرى ولا يصدق
فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدرى وايضا
فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك
واجمعوا على انه قول الرسول عليه الصلوة والسلام وفعله وتفسير
مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون

لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك
من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية
والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطى ومعمر الضمرى انه
لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر
شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذى في ايدى
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم
به او تجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن ومكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك
من انكر الجنة او النار والبعث والحساب والقيمة فهو كافر باجماع
النص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف
بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى على غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنية
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم
ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل

العالم كقول الفلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فاما من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى
انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر
وعمر او قتل عثمان رضوان الله تعالى عليهم وخلافة علي كرم الله وجهه
ورضي الله تعالى عنه مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك
اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي
الله تعالى عنه من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين
ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما
من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل
من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى الاية وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير
من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير
من خالف الاجماع الذي يختص نقله بالعلماء وذهب آخرون الى
التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام
بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله

هو الجهل

هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد
بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص
الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل
على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى الثاني ان
ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك
لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار
مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه
العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم
ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بقادر ولا عالم
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتأولين كما قدمناه فاما من جهل من هذه الصفات فاختلف
العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به
ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه
دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث
السوداء وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله تعالى علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال

فغفر الله له قالوا ولو بحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما
وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه بل فى نفس
البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من
مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء
عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا
ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى اذهلت لبه
فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذى صورته الشك ومعناه
التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم كقوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال
مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا
علم له ومتكلم لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل الى ما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا
نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم
صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل
من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا
الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا
قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى من القول بالمآل الذى الزمتموه
لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلنا

فعلى

فعلى هذين المأخذين اختلف الناس فى اكفار اهل التأويل واذا فهمته
اتضح لك الموجب لخلاف الناس فى ذلك والصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم
ووراثتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنه يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر
حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم
فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه
الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا
وقطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفى والقتل
على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين
واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق
للصواب قال القاضى ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من
الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشىء
منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها
وقد قدمنا فى هذا الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا ما اغنى
من اعادته بحول الله وقوته فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
واما الذمى فروى عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
فى المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون ومن شتم الله تعالى من اليهود

والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
الا ان يسلم قال في المبسوط طوعًا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا
وهو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما
غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقضٌ للعهد قال ابن
القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلمًا كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك
مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه
الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكر قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية
وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو قول الاخر فيمن سب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين من سب الله
به وسب نبيه لانا عاهدنا على ان لا يظهروا لنا شيئًا من كفرهم
وان لا يسمعونا شيئًا من ذلك فمتى فعلوا شيئًا منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد
الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب وما
اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية

او الرسالة



٢١٦

او الرسالة او انفى ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب
او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر
قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال
ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرًا لمثله عن قوله وله عن
العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى
به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا نامن باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا ينظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن
معه عقل وسقط تكليفه اُدِّبَ على ذلك لِيَنزَجِرَ عنه كما يُؤدَّب عن قبائح
الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على
سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء
وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء
بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل
الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع
تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي
الغرافير وكان على مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة
بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن الحكم في المبسوط من

تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او
قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسرّ بذلك او اعلنه فهو كالمرتد وقاله
سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا
ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن
ابي زيد فيمن لعن بارية وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته
وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله ان تاب أدب فان
عاد الى مثله قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين

فصل واما من تكلم سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل
في بعض الاشيا ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
المخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان
ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب
واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان
خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى ابن وهب وابان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي رحمه الله تعالى حينئذ موسى بن زياد

فقال

فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربّ عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد
سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم
الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب
عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى
رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك ان كان جاهلا او قاله على وجه
سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله
منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم
في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه
كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل
حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول
واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض
الاعراب يا رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل
علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان

الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه عن هذه الامور وقد
روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شيء حتى يقول لا اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا
وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى
الا فيما يتصل بطاعة وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما
يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان تمتهن في غير قربة
حدثني الثقة ان الامام ابابكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام
كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه ويقولون
هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله
في باب ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والله الموفق **فصل** وحكم من سب سائر الانبيا الله تعالى
وملئكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسوله وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال الله
تعالى كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن
شتم الانبيا عليهم السلام او واحدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن

القاسم من سب الانبيا عليهم السلام من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف
في هذه الاصل وقال القاضي بقرطبة سعد بن سليمان في بعض اجوبته
من سب الله تعالى او ملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل
اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب
والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا
بذلك لقولهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشبه بعلي من الغراب
بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله على اصلهم من كذب
باحد من الانبيا عليهم السلام او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد
وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان
لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن
حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه
او حققنا على بالخبر المأثور المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبرئيل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبيا عليهم السلام
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة
المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع
الاجماع على كونه من الملائكة والانبيا عليهم السلام كهاروت وماروت
في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسيه وخالد بن سنان

المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب
بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم
تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان
كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب
اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا فقد كره السلف الكلام في مثل هذا
مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من
استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم
او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء
من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا
الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن
عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد
بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر يؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد اية من كتاب
الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية
والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او التخفيف

بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار
الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه
كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع
ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر
مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه
واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها بالفرية او افترا لانه
خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال
ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما قتل وقال
عبد الرحمن بن المهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا
من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف
منه قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال لم اتخذ
ابراهيم خليلا قتل لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد
لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له
ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه
سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية
فقال الاخر لعن الله التورية فيشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه سئله
عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهودي فقال ابو الحسن الشاهد

الواحد لا يوجب القتل واما في علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجرداً لضاق الامر وبلدوا
وقد اتفق علماء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة
المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقرائته واقرائه لشواذ
من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة
منه سجلاً اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهرى
وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران
قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل **فصل** ومن سب
ال بيته وازواجه واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وتنقصهم حرام
ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى قال ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب
بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن
عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الله الله في اصحابي لا تتخذوا غرضاً بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله تعالى يوشك ان ياخذه وقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه

لعنة الله

لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجئ
قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله
تعالى عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي فمن اذاهم فقد
اذاني وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في فاطمة رضي الله تعالى
عنها بضعة مني يؤذيني ما اذاها فقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب
مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله تعالى من
شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضاً
من شتم احداً من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او علياً او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالاً شديداً وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض
عثمان والبراءة منه ادب ادباً شديداً ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر رضي الله تعالى عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه
حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سحنون من كفر احداً من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
علياً او عثمان او غيرهما رضي الله تعالى عنهم يوجع ضرباً وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي
الله تعالى عنهم انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل وشتم غيرهم من الصحابة

بمثل هذا النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد
ومن سب عايشة رضي الله تعالى عنها قتل قيل له لم قال من رماها
فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم
الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى
ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا
ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر الله تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة رضي الله تعالى عنها فقال الله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما
سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لمالك في قتل من سب عايشة
رضي الله تعالى عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه
تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل وكان موذي نبيه كذلك كما قدمنا
وشتم رجل عايشة رضي الله تعالى عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين جلدة وحلق
راسه واسلمه الى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان
عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتي باعرابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتموه وقال مالك من انتقص
احدا من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق

قد قسم الله الفيء في ثلثة اصناف فقال الله تعالى للفقراء
المهاجرين الآية ثم قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في احد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة
حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف
الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
من سب اصحابي فاجلدوه ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي
حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام
قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم
صلى الله تعالى عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام
القيام به قال ومن سب غير عايشة رضي الله تعالى عنها من ازواج
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها كسائر
الصحابة رضي الله تعالى عنهم يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول
وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته
لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وافتى ابو المطرف
الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة في الليل وقال لو كانت
اسم بلدة

بنت ابی بکر الصدیق رضی الله تعالی عنه ما حلفت الا بالنهار
وصوّب قوله بعض المتسمّین بالفقه فقال ابو مطرف ذکر هذا لابنة
ابی بکر رضی الله تعالی عنه فی مثل هذا یوجب علیه الضرب الشدید والسجن
الطویل والفقیه الذی صوّب قوله هو احق باسم الفسق من اسم
الفقه فیتقدم الیه فی ذلک ویؤخذ ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهی جرحة ثابتة فیه ویبغض فی الله وقال ابو عمران فی رجل
قال لو شهد علی ابو بکر الصدیق رضی الله تعالی عنه انه ان کان
فی مثل ما لا یجوز فیه الشاهد الواحد فلا شیء علیه وان کان اراد
غیر هذا فیضرب ضربًا یبلغ به حد الموت وذکروها روایة قال القاضی
ابو الفضل هنا انتهی القول بنا فیما حررناه وانتجز الغرض الذی
انتحیناه واستوفی الشرط الذی شرطناه مما ارجو ان فی کل قسم
منه للمرید مقنعًا وفی کل باب منهجًا الی بغیته ومنزعٍ وقد سفرت
فیه عن نکت تستغرب وتستبدع وکرعت فی مشارب من التحقیق
لم یورد لها قبل فی اکثر التصانیف مشرع واودعته غیر ما فصل وددت
لو وجدت من بسط قبلی الکلام فیه او مقتدی یقتدینه عن کتابه
او فیه لاکتفی بما ارویه عما اردیه والی الله جزیل الضراعة فی المنة بقبول
ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزین وتصنع لغیره وان یهب لنا ذلک
بجمیل کرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامین وحیه
واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فیه خواطرنا من ابراز خصائصه
ووسائله ویحمی اعراضنا عن نار ه الموقدة لحمایتنا کریم عرضه ویجعلنا ممن
لا یزاد اذا زید المبدل عن حوضه ویجعله لنا ولمن تهمم باکتتابه واکتتا

سببا یصلنا باسبابه وذخیرة نجدها یوم تجد کل نفسٍ ما عملت من خیر محضرا نحوز
رضاه وجزیل ثوابه ویخصنا بخصیصی زمرة نبینا صلی الله تعالی علیه وسلم
وجماعته ویحشرنا فی الرعیل الاول واهل الباب الایمن من اهل
شفاعته صلی الله تعالی علیه وسلم ونحمده تعالی علی ما هدی الیه من جمعه
والهم وفتح البصیرة لدرک حقایق ما اودعناه وفهم ونستعیذه
جل اسمه من دعاء لا یسمع وعلم لا ینفع وعمل لا یرفع فهو الجواد
الذی لا یخیب من امله ولا ینتصر من خذله ولا یرد دعوة القاصدین
ولا یصلح عمل المفسدین وهو حسبنا ونعم الوکیل وصلوات الله
علی نبینا صلی الله تعالی علیه وسلم محمد خاتم النبیین وسلم تسلیما کثیرا
آخر الکتاب والحمد لله رب العالمین تم جزء کتاب الشفا فی تعریف
حقوق المصطفی صلی الله تعالی علیه وسلم وذریته وازواجه
واصحابه اجمعین قد وقع الفراغ من تسوید هذه
النسخة الشریفة عن ید الفقیر الحقیر المعترف بالعجز
والتقصیر المذنب الراجی الی مغفرة ربه الباری
احقر عباد الله صالح بن ابا بکر السمرقندی
الخوقندی عفی عنهما عفو الباری
فی یوم الاثنین فی اواخر
شهر ربیع الثانی فی سنة
ثمانین ومائتین
والف
تم

من له العزة والشرف جعل سببا لمرادنا واجرنا من خزى
الدنيا وعذاب الاخرة برحمتك يا ارحم الراحمين

ألا يا مستعير الكتب دعني فعندي أن أعير الكتب عار
فمعشوقي من الدنيا كتابي فهل أبصرت معشوقا يعار
ولا تمنع كتابا مستعيرا فإن البخل للإنسان عار

أما تسمع حديثا من رواة
جزاء البخل عند الله نار

